

تقصيد التجديد في العلوم الإسلامية.

Purposes of renewal in Islamic sciences.

الباحث : حميدة برودي

معهد أصول الدين جامعة الزيتونة – تونس

البريد الإلكتروني: hmaidabaroudi@gmail.com

ملخص:

الواقع التعليمي كما كل واقع بحاجة إلى تجديد وتحديث، لا بداعي الترف الفكري والمعرفي، ولكن بضغوط المسيرة للحياة وتطور المحيط، وكل من لا يتطور يتأخر، قاعدة حياتية في عمر الشعوب.

وليس ممكنا للجسم الحي البقاء كذلك، ما لم يجدد ذاته فيما يسمى (التجديد الخلوي) والذي يتم عن طريق الانقسام المستمر للخلايا الأصلية والتي تنقسم انقسامًا متساويًا ومنظمًا لزيادة عدد الخلايا وبالتالي تعويض الخلايا الميتة وضمان استمرار الحياة. فخلايا الجسم عمرها محدود لذا تتجدد خلايا العضوية باستمرار لتعويض الخلايا التالفة، ومجرد تصور توقف الخلايا عن التجدد الذاتي، تساوي في لغة البقاء الموت المحتم أو العيش في معاني الموت وعدم الفاعلية. الكلمات المفتاحية: تقصيد - التجديد - العلوم الإسلامية- المقاصد

Abstract

Educational reality, as every reality needs to be renewed and modernized, not because of intellectual and cognitive luxury, but under the pressure of keeping pace with life and the development of the ocean, and anyone who does not develop is delayed, a life base in the age of peoples.

The living body can't survive as such, unless it renews itself in the so-called "cellular regeneration", which is done through the continuous division of the original cells, which are divided equally and structured to increase the number of cells, thus compensating for dead cells and ensuring the continuation of

life. The body's cells have a limited lifespan so organic cells are constantly regenerated to compensate for damaged cells, and just to imagine cells stopping self-regeneration, equal in the language of survival, inevitable death or living in the meanings of death and ineffectiveness.

Keywords: Renewal - Islamic Sciences - Purposes

علاقة التجديد في الدراسات الإسلامية بالتجديد الحضاري:

مؤكد أن التعليم ركيزة أساس في البناء الحضاري لأي أمة، وحتى الأمم العسكرية كالمغول والامبراطورية العثمانية بجيشها الانكشاري لم تتخل عن دور العلماء في توجيه دفة الأمة الفكرية والحضارية وإن على نطاقات أضيق من غيرها، لدواعي يعرفها أهل التاريخ، وحتما أن البشر من طبيعته يملّ الآلية والتكرار والجمود، ويعيش دهره باحثا عن غير حالته، تجديدا وتطويرا وتوسيع مباحث ومدارك، ابتداء بذاته ومعارفه وصولاً إلى محيطه الخارجي الضيق والواسع، وفي سبيل ذلك يسخر كل امكاناته النفسية والفكرية والمادية، لأجل هدف احداث التجديد المطلوب أو المنشود، وهذا لا يعني عدم حنينه لبعض ماضيه، لكن ضرورة التقدم تقتضي ضرورة التجديد، وإلا كان الجمود نصيب كل ثابت.

وجلي العلاقة الوطيدة بين التجديد في تدريس العلوم وبين الحراك الحضاري للأمة، كون الفكر قائد ومحرك والعقل في أساسه باعث ابعاداً للعاث والعدمية، ومتى ما تحركت العلوم تغير المجتمع، لأن الفكر يرمي الماضي العدمي ويستجلب القادم الفاعل وجودا، بداية بالأفراد خصوصا ووصولاً للمجتمعات المتغيرة بفكر أفرادها الفاعلين، وهي الأفكار التنويرية الاحيائية التي تصب في خانة صب الأمة صباً جديدا، وقوليتها قوالب حضارية تروم الخير العام، والذي لا يحدث مطلقا ما لم تكن العلاقة بين العلوم وبين أي حراك قوية في منطلقاتها ومراماتها ووسائلها، وكذا مخططاتها ومن يناط به تنفيذها.

ولا يخفى على باحث أن التخلف الفكري والثقافي ومنه العلمي، وغياب كل ابداع ينير للأمة سبيلها، وكذا الانحطاط الاجتماعي والاقتصادي، والاستعمار بأنواعه والقابلية للاستعمار على تلونها، كلها أوضاع وظروف يمكن تغييرها ومحوها حال

تضافرت جهود قادة الفكر والعلوم، والسياسة والاقتصاد، لأجل خلق قابليات جديدة مبنية على الذات الفاعلة حضارة، والرامية لتجسيد كنه المستخلف حقيقة، القائم برسائله الوجودية والإبداعية، منطلقاً من ذات المكلف بالحضارة وصولاً للمجتمع المتحضر بأفراده الموقنين في فاعلية الحرف المفكر في تغيير الذوات والمجتمعات.

وبما أن ظاهرة التجديد والبعث الحضاري تقوم عليها كل محاولة إنسانية تستهدف بناء الإنسان اجتماعياً وتاريخياً بإعادة رسم خارطة وجوده وفاعليته تحت الشمس، وتفعيل دوره التاريخي فاعلاً بدل أن يكون مفعولاً به أو مجروراً بغيره أو مضافاً لغيره، حين يروم التغيير الجاد لكل وضع راهن نحو وضع أفضل تقدماً وفاعلية، نهضة حضارية أو صحوة بعد غفلة وانقطاع عن التاريخ وعن الحضارة، فإنه من الطبيعي اليقين في دور التعليم وتجده وتوسع مديات ارتباطه بالتجديد والانطلاق الفاعل، وكذا اليقين في بشرية التغيير والتجديد، بعيداً عن التدثر بمسمى الإيمان السطحي ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ سورة الرعد 11. على معنى أن ظاهرة التجديد الحضاري ليست وحياً ينزل من السماء، ولا هي هبة من الطبيعة، بل تنتج عن الكدّ والجهد والاجتهاد، ينهض بها فاعلون بشريون يؤمنون برسالتهم ويكرسون حياتهم لها، قودهم عقل ويستضلون بنص موحي به يوجه الناس لتحقيق الاستخلاف العاقل، يرومون فكراً متحرراً من المثبطات جميعها، إيماناً برسالية المؤمن في الحياة، حملاً لأمانة الكلمة الملقاة على آدم، وتنفيذاً لأوامر المولى بتحمل المسؤولية الكونية ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ سورة الاحزاب، 72 على ما فيها من مخاطر ومتاعب وجزاء، وتحديات عملية.

حالة التخلف العام في راهن الأمة، لا يصلحه غير نهضة حضارية ابتداءً بتجديد التدريس كله، بما يسمح للمسلم صاحب رسالة (اقراً) أن يقود الناس نحو ربهم، حيث تتحرر أمتة من تخلفها لتصنع الرقي المطلوب والانطلاق نحو تطوير البشر

جميعهم، اعلاءً لكلمة التوحيد مقصد الاستخلاف الأولى. لا انفصام بين ضرورة تجديد تدريس العلوم وبين البعث الحضاري، فالحضارة في منظور المسلم الواعي بدوره، الخادم في حركاته وسكناته لرسالته، وحدة متكاملة في وجودها وبواعثها وأهدافها، مع بعض الاختلاف الممكن في وسائلها وآلياتها. والحياة متغيرة باستمرار لا تعرف الثبات والجمود، تستمد تغيرها من ادراك العلاقة بين الله والإنسان والطبيعة والزمن. ولأنه لا شيء يقع صدفة، ولا شيء يحدث عبثاً، فكذلك التغيير لا يحصل في الإنسان ولا يجري في الواقع دون أن يحدث في أعماق الذات الإنسانية أولاً، متعلقاً بمعنى الحياة والوجود والإنسان، و بأساليب التفكير والعمل وبالمبادئ الفردية والجماعية، وكذا القيم الخاصة والعامة التي يؤمن بها الإنسان، و بالأهداف والغايات التي يصبو إليها، ويروم تحقيقها من خلال التجديد الحضاري بدءاً بالإبداع العلمي وصولاً إلى ازدهار الثقافي والاجتماعي والاقتصادي.

التجديد التعليمي في كل درس، إنما يهدف بعث أمة من مرقدتها، واستجلاب صحتها بعد غفوتها أو نومها، استنهاضاً للهمم، نقداً للذات دون جلدٍ قاتل، ودون تبرير مخزٍ، ببلورة أهداف البناء الواعي للذات المجتمعية، وفق تصورات واضحة المعالم، وأفكار علمية تنسج أبعاد مشروع رؤية فلسفية، بإعادة تنظيم الفرد لحياته الاجتماعية وفق مبادئ إنسانية عالمية مستمدة من الإسلام و من الطبيعة البشرية في جانبها الفردي وفي جانبها الاجتماعي، بما يحقق ذاتاً مسلمة في محيط غير مسلم لكنه مسالم.

إن واقع التعليم مؤلم، وعقيم لا نتاج له، وكل حركة تجديدية فيه إنما تحارب المشاكل والوضعيات والظروف الفاسدة المتهورة في حياة الفرد والجماعة في جميع جوانبها الفكرية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، فأفشل التعليم نتاجها أفشال عامة، وتجديد التعليم والدرس العلمي يحمل معنى التجديد الحضاري والانبعاث الواعي.

واحياء التعليم وتوجيه الدرس العلمي، لا يعني فصل التوجيهات الكبرى للمدرسة عن توجهات الأمة، بل الصاقها بها هو المراد، للتكامل بين الخاص والعام، ولأن

تحريك المدرسة يخلق حركة الأمة، أخلاقا وعملا ونتاجا وثروة وصحة تعم كل مجال، بما يضمن عدمية التبعية للآخر، والاكتفاء بتنمية القدرات الذاتية لحياة الأمة وحيائها.

يقول الرئيس ابن باديس حول ضرورة البعث التعليمي من مرقده: (الإسلام دين الله الذي يجمع بين السعادتين وإنما يسعدهما به من اعتقد عقائده وتأدب بأدابه وارتبط بأحكامه في الظاهر والباطن من أعماله، ولا بد لهذا كله من التعليم الديني الذي محله المساجد وبدونه لا سبيل الذي محله المساجد وبدونه لا سبيل إلى شيء من هذا كله فصارت حاجة المسلمين إليه حاجتهم إلى الإسلام وصار إعراضهم عنه، هو إعراض عن الإسلام وهجر له، ما انتهى المسلمون اليوم إلى ما انتهوا إليه إلا بذلك الهجر، وذلك الإعراض، ولن يرجى لهم شيء من السعادة الإسلامية إلا إذا أقبلوا على التعليم الديني فأقاموه في مساجدهم كما يقيمون الصلاة وكما كان النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- يفعل من إقامتهما بمسجده كما تقدم.)¹

وفي عالمنا الحديث تجارب بعثية وحيائية لأمم عرفت الموت ثم جاءت صحوات مباركة، جعلت نوم الشعوب تاريخا، ويقظتها محرابا تصنع فيه غدها، وليس أحسن من اعتماد ألمانيا على التعليم واليابان وسنغافورة وماليزيا.. في تحقيق الانطلاق الحضاري الذي يبني مجد الأمم.

تعليمنا: الواقع والحاجة إلى التجديد:

الجديد ضد البالي والقديم، جاء في لسان العرب (وَجَدَدْتُ الشَّيْءَ أَجْدُهُ - بِالضَّمِّ - جَدًّا: قَطَعْتُهُ. وَحَبَلٌ جَدِيدٌ: مَقْطُوعٌ؛ قَالَ: أَبِي حُيَّي سُلَيْمَى أَنْ يَبِيدَا ** وَأَمْسَى حَبْلُهَا خَلْقًا جَدِيدًا أَيْ مَقْطُوعًا؛ وَمِنْهُ: مِلْحَفَةٌ جَدِيدٌ، بِلَا هَاءٍ؛ لِأَنَّهَا بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ. ابْنُ سَيِّدَه يَقَالُ: مِلْحَفَةٌ جَدِيدٌ، وَجَدِيدَةٌ حِينَ جَدَّهَا الْحَائِكُ أَيْ: قَطَعَهَا. وَتَوْبٌ جَدِيدٌ، وَهُوَ فِي مَعْنَى مَجْدُودٍ، يُرَادُ بِهِ حِينَ جَدَّهَ الْحَائِكُ أَيْ: قَطَعَهُ. وَالْجِدَّةُ: نَقِيضُ الْبَلَى يُقَالُ: شَيْءٌ جَدِيدٌ، وَالْجَمْعُ أَجْدَةٌ وَجُدْدٌ وَجُدْدٌ؛ وَحَكَى اللَّحْيَانِي: أَصْبَحْتُ ثِيَابَهُمْ

¹ عمار الطالبي، آثار عبد الحميد بن باديس، ط دار الغرب الجزائر سنة 1983م، ج 3 ص 226.

خُلِقَانًا، وَخَلَقَهُمْ جُدْدًا، أَرَادَ وَخُلِقَانُهُمْ جُدْدًا، فَوَضَعَ الْوَاحِدَ مَوْضِعَ الْجَمْعِ، وَقَدْ يَجُوزُ أَرَادَ: وَخَلَقَهُمْ جَدِيدًا فَوَضَعَ الْجَمْعَ مَوْضِعَ الْوَاحِدِ، وَكَذَلِكَ الْأُنْثَى. وَقَدْ قَالُوا: مِلْحَفَةٌ جَدِيدَةٌ، قَالَ سِبْيَوِيَّةُ: وَهِيَ قَلِيلَةٌ. وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ وَغَيْرُهُ: جَدَّ الثَّوْبِ وَالسَّيِّءُ يَجِدُّ - بِالْكَسْرِ - صَارَ جَدِيدًا، وَهُوَ تَقْيِضُ الْخَلْقِ، وَعَلَيْهِ وَجْهٌ قَوْلُ سِبْيَوِيَّةَ: مِلْحَفَةٌ جَدِيدَةٌ، لَا عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْمَفْعُولِ. وَأَجَدَّ ثَوْبًا وَاسْتَجَدَّهُ: لَبَسَهُ جَدِيدًا؛ قَالَ:

وَحَرَقَ مَهَارِقَ ذِي لُحْلُهِ ** أَجَدَّ الْأَوَامَ بِهِ مَظْهُوهُ

هُوَ مِنْ ذَلِكَ أَيْ: جَدَّدَ، وَأَصْلُ ذَلِكَ كُلِّهِ الْقَطْعُ، فَأَمَّا مَا جَاءَ مِنْهُ فِي غَيْرِ مَا يَقْبَلُ الْقَطْعُ فَعَلَى الْمَثَلِ بِذَلِكَ، كَقَوْلِهِمْ: جَدَّدَ الْوُضُوءَ وَالْعَهْدَ. وَكَسَاءُ مُجَدَّدٌ: فِيهِ خُطُوطٌ مُخْتَلِفَةٌ. وَيُقَالُ: كَبِرَ فُلَانٌ ثُمَّ أَصَابَ فَرْحَةً وَسُرُورًا، فَجَدَّ جَدُّهُ كَأَنَّهُ صَارَ جَدِيدًا. قَالَ: وَالْعَرَبُ تَقُولُ مِلَاءَةً جَدِيدًا، بِغَيْرِ هَاءٍ؛ لِأَنَّهَا بِمَعْنَى مَجْدُودَةٍ أَيْ: مَقْطُوعَةٍ. وَثَوْبٌ جَدِيدٌ: جَدَّ حَدِيثًا أَيْ: قُطِعَ. وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا لَبَسَ ثَوْبًا جَدِيدًا: أَبْلٍ وَأَجَدَّ وَاحْمَدِ الْكَاسِي. وَيُقَالُ: بَيَّيْتُ فُلَانٍ ثُمَّ أَجَدَّ بَيْتًا، زَادَ فِي الصِّحَاحِ: مِنْ شَعْرِ؛ وَقَالَ لَبِيدٌ: تَحَمَّلْ أَهْلُهَا وَأَجَدَّ فِيهَا ** نِعَاجُ الصَّيْفِ أَخْبِيَةَ الظَّلَالِ وَالْجِدَّةُ: مَصْدَرُ الْجَدِيدِ. وَأَجَدَّ ثَوْبًا وَاسْتَجَدَّهُ. وَثِيَابٌ جُدْدٌ: مِثْلُ سَرِيرٍ وَسُرُرٍ. وَتَجَدَّدَ السَّيِّءُ: صَارَ جَدِيدًا. وَأَجَدَّهُ وَجَدَّدَهُ وَاسْتَجَدَّهُ أَيْ: صَيَّرَهُ جَدِيدًا.²

وواقع التعليم مزرٍ، وثمرته سيئة، لم تبلغ درجة أن تكون غير طيبة كمالاً، بل تزداد كل آن استغفالا ودونية وانحطاطا بأصحابها، وكان مرجواً منهم الارتفاع بها والارتقاء معها، في تخلٍ صريح عن سمو رسالة التعليم في رفع الناس من واقعهم . مهما كان . إلى أفضل منه، بما يحقق الجودة والحسن، على مسار (..اقرأ وارتقي..) فرد وجماعات وأمة ونفعاً لبني الانسان، قيادة للبشرية، وسيرا بها نحو ربها، تحقيقا للاستخلاف الكوني، وليست تلك الثمار سوى نتاج طبيعي لحيد العمليات التعليمية . التعلمية عن المقصد الكبير منها كلها، وهو تحقيق الوحدة لله، وتعميم الخير على البشر، استعماراً للكون بعد مرحلة استعمار الأرض (هُوَ أَنْشَأَكُمْ

² أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، حرف الجيم، مادة (ج د د)

مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَغْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ) سورة هود 61

تتقدم الأمم بالعلم والبحث، وتنتصر على غيرها بتفعيل العلوم في حياتها، ولا يكون للعلم قيمة وفاعلية ما لم يسانده حكم يوليه مقامه، ومال يدني ثماره، وتقويم يجلي حسنه وبهاءه، ورحم الله شوقي، إذ يقول:

إن الشجاعة في القلوب كثيرة ** وجدتُ شُجاعانَ العقولِ قليلا

إن الذي خَلَقَ الحقيقةَ علماً ** لم يُخل من أهلِ الحقيقةِ جيلا

رَبُّوا عَلَى الْإِنصَافِ فِتْيَانُ الْحِمَى ** تَجِدُوهُمْ كَهْفَ الْحَقُوقِ كَهَولا

فَأَصَابَ بِالدُّنْيَا الْحَكِيمَةَ مِنْهُمَا ** وَبِحَسَنِ تَرْبِيَةِ الزَّمَانِ بَدِيلا
ثمار دانية منافع للأمة، وفي تناول البشرية خيراً عميماً. (وفاكهة كثيرة) سورة الواقعة 32.

واقع أنتج جموعاً من مسميات "طلبة" بلا ملمح حضاري، ولا هم بنائي كوني، ولا رسالة موحدة لآليات التغيير نحو الخيرية المذكورة قرأناً، ولا حتى برسم معاني القابلية للتحضر واستعادة زمام القيادة الغائب منذ دهور، وربما البدأ باستعادة معنى الوجود تحت الشمس بكرامة ومن ثم الانطلاق نحو التغيير.

وعلى خلاف الوصف الرباني جاءت ثمرة التعليم عندنا سيئة للغاية، وليتها لم تأت، مترادفات من عدم الفلاح في لانطلاق، مغايرةً للوصف القرآني بكون الثمار: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ سورة الواقعة 33. لتكون مقطوعة عن أسباب البقاء والاستمرار والافادة، ممنوعة من التغيير والتغير الذي يروم اقامة معنى الأمة الفائدة، استقلالاً وريادة، قوة وجود وقوة إيجاد وكذا القوة والفاعلية في احداث التغيير الكوني من خلال استراتيجيات وجودية.

(تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) فَهَذِهِ الشَّجَرَةُ أُولَى بِهِذِهِ الصِّفَةِ مِنَ الْأَشْجَارِ الْجُسَمَانِيَّةِ ؛ لِأَنَّ شَجَرَةَ الْمَعْرِفَةِ مُوجِبَةٌ لِهَذِهِ الْأَحْوَالِ وَمُؤَثِّرَةٌ فِي حُصُولِهَا، وَالسَّبَبُ لَا يَنْفَكُ عَنِ الْمُسَبَّبِ فَأَنْتَرُسُوحِ شَجَرَةُ الْمَعْرِفَةِ فِي أَرْضِ الْقَلْبِ أَنْ يَكُونَ نَظَرُهُ بِالْعَبْرَةِ كَمَا قَالَ: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ سورة الحشر 2، وَأَنْ يَكُونَ سَمَاعُهُ بِالْحِكْمَةِ كَمَا قَالَ: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ سورة الزمر: 18،

وَنُطْقُهُ بِالصِّدْقِ وَالصَّوَابِ كَمَا قَالَ: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ سورة النساء: 135، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "قُولُوا الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ" وَهَذَا الْإِنْسَانُ كُلَّمَا كَانَ رُسُوحُ شَجَرَةِ الْمَعْرِفَةِ فِي أَرْضِ قَلْبِهِ أَقْوَى وَأَكْمَلُ، كَانَ ظُهُورُ هَذِهِ الْأَنَارِ عِنْدَهُ أَكْثَرَ، وَرَبَّمَا تَوَعَّلَ فِي هَذَا الْبَابِ فَيَصِيرُ بِحَيْثُ كُلَّمَا لَاحَظَ شَيْئًا لَاحَظَ الْحَقَّ فِيهِ، وَرَبَّمَا عَظُمَ تَرْقِيهِ فِيهِ فَيَصِيرُ لَا يَرَى شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ كَانَ قَدْ رَأَى اللَّهَ تَعَالَى قَبْلَهُ. فَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) وَأَيْضًا فَمَا ذَكَرْنَاهُ إِشَارَةً إِلَى الْإِلَهَامَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ وَالْمَلَكَاتِ الرُّوحَانِيَّةِ الَّتِي تَحْصُلُ فِي جَوَاهِرِ الْأَزْوَاجِ، ثُمَّ لَا يَزَالُ يَصْعَدُ مِنْهَا فِي كُلِّ حِينٍ وَلَحْظَةً وَلَمْحَةً كَلَامٌ طَيِّبٌ وَعَمَلٌ صَالِحٌ وَخُضُوعٌ وَخُشُوعٌ وَبُكَاءٌ وَتَذَلُّلٌ، كَتَمَرَةِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ. وَأما قوله: (بِإِذْنِ رَبِّهَا) فَفِيهِ دَقِيقَةٌ عَجِيبَةٌ: وَلِذَلِكَ لِأَنَّ عِنْدَ حُصُولِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ السَّنِيَّةِ وَالذَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ قَدْ يَفْرُحُ الْإِنْسَانُ بِهَا مِنْ حَيْثُ هِيَ هِيَ، وَقَدْ يَتَرَقَّى فَلَا يَفْرُحُ بِهَا مِنْ حَيْثُ هِيَ هِيَ، وَإِنَّمَا يَفْرُحُ بِهَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا مِنَ الْمَوْلَى، وَعِنْدَ ذَلِكَ فَيَكُونُ فَرْحُهُ فِي الْحَقِيقَةِ بِالْمَوْلَى لَا بِهَذِهِ الْأَحْوَالِ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ: "مَنْ آتَرَ الْعِرْفَانَ لِلْعِرْفَانِ فَقَدْ قَالَ بِالْفَانِي، وَمَنْ آتَرَ الْعِرْفَانَ لَا لِلْعِرْفَانِ، بَلْ لِلْمَعْرُوفِ فَقَدْ خَاضَ لُجَّةَ الْوُصُولِ، فَقَدْ ظَهَرَ بِهَذَا التَّفْهِيمِ الَّذِي شَرَحْنَاهُ وَالْبَيَانِ الَّذِي فَصَّلْنَاهُ أَنَّ هَذَا الْمِثَالَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذَا الْكِتَابِ مِثَالٌ هَادٍ إِلَى عَالَمِ الْقُدُسِ، وَخَضِرَةِ الْجَلَالِ، وَسُرَادِقَاتِ الْكِبَرِيَاءِ، فَتَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى مَزِيدَ الْإِهْتِدَاءِ وَالرَّحْمَةِ إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ، وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ فِي تَفْهِيمِ هَذَا الْمِثَالِ كَلَامًا لَا بَأْسَ بِهِ، فَقَالَ: إِنَّمَا مَثَلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْإِيمَانُ بِالشَّجَرَةِ، لِأَنَّ الشَّجَرَةَ لَا تَسْتَحِقُّ أَنْ تُسَمَّى شَجَرَةً، إِلَّا بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: عِرْقٌ رَاسِخٌ، وَأَصْلٌ قَائِمٌ، وَأَغْصَانٌ عَالِيَةٌ. كَذَلِكَ الْإِيمَانُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: مَعْرِفَةٌ فِي الْقَلْبِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَبْدَانِ..³

(..(أَصْلُهَا) أَيُّ أَصْلُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ ثَابِتٌ. (وَقَرَعُهَا) أَيُّ أَعْلَاهَا فِي السَّمَاءِ، وَالْمُرَادُ الْهَوَاءُ: لِأَنَّ كُلَّ مَا سَمَّاكَ وَعَلَكَ فَهُوَ سَمَاءٌ. (أَيُّ هَذِهِ الشَّجَرَةُ) أَكْلَهَا

³ فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين الطبرستاني، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، سورة إبراهيم، قوله تعالى ألم ترى كيف ضرب الله مثلا شجرة..

(أَيُّ ثَمَرِهَا وَمَا يُؤْكَلُ مِنْهَا) (كُلَّ حِينٍ) ، وَاخْتَلَفُوا فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْحِينِ.. وَقَالَ الرَّجَّاجُ: جَمِيعُ مَنْ شَاهَدَنَا مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ الْحِينَ اسْمٌ كَالْوَقْتِ يَصْلُحُ لِجَمِيعِ الْأَزْمَانِ كُلِّهَا طَالَتْ أَمْ قَصُرَتْ، وَالْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: (تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ) أَنَّهُ يُنْتَفَعُ بِهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا أَوْ شِتَاءً أَوْ صَيْفًا. قَالُوا: وَالسَّبَبُ فِيهِ أَنَّ النَّخْلَةَ إِذَا تَرَكُوا عَلَيْهَا الثَّمَرَ مِنَ السَّنَةِ إِلَى السَّنَةِ انْتَفَعُوا بِهَا فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِ السَّنَةِ.

وَأَقُولُ: هَؤُلَاءِ وَإِنْ أَصَابُوا فِي الْبَحْثِ عَنْ مُفْرَدَاتِ الْأَفَاضِ الْآتِيَةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ بَعُدُوا عَنْ إِدْرَاكِ الْمَقْصُودِ ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى وَصَفَ هَذِهِ الشَّجَرَةَ بِالصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ، وَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى أَنَّ تِلْكَ الشَّجَرَةَ هِيَ النَّخْلَةُ أَمْ غَيْرُهَا، فَإِنَّا نَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ الشَّجَرَةَ الْمُوصُوفَةَ بِالصِّفَاتِ الْأَرْبَعِ الْمَذْكُورَةِ شَجَرَةٌ شَرِيفَةٌ يَنْبَغِي لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يَسْعَى فِي تَحْصِيلِهَا وَتَمَلُّكِهَا لِنَفْسِهِ سَوَاءً كَانَ لَهَا وَجُودٌ فِي الدُّنْيَا أَوْ لَمْ يَكُنْ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ التَّحْصِيلِ، وَاخْتَلَفُوهُمْ فِي تَفْسِيرِ الْحِينِ أَيْضًا مِنْ هَذَا الْبَابِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْأُمُورِ.

ثم قال: (وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (وَالْمَعْنَى: أَنَّ فِي ضَرْبِ الْأَمْثَالِ زِيَادَةً إِفْهَامٍ وَتَذَكُّيرٍ وَتَصْوِيرٍ لِلْمَعَانِي ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَعَانِيَ الْعَقْلِيَّةَ الْمُخْصَصَةَ لَا يَقْبَلُهَا الْجِسُّ وَالْخَيَالُ وَالْوَهْمُ، فَإِذَا ذُكِرَ مَا يُسَاوِيهَا مِنَ الْمُحْسُوسَاتِ تَرَكَ الْجِسُّ وَالْخَيَالُ وَالْوَهْمُ تِلْكَ الْمَنَازِعَةَ وَانْطَبَقَ الْمُعْقُولُ عَلَى الْمُحْسُوسِ وَحَصَلَ بِهِ الْفَهْمُ التَّامُّ وَالْوُصُولُ إِلَى الْمَطْلُوبِ).⁴

فيكون المرام من مدارسنا انتاج لبنات الغد، ولا يصلح البناء للصمود والبقاء ما لم يكن بلبنات متينة قوية، تكتسب قوتها من ذات المواد التي بُنيت بها هيكلتها الأساس، وما يجب لمتين الأساس ومن ثم الانطلاق في التشييد طلبا للصمود والثبات، مع مراعاة التجديد والاصلاح والتحديث، وإلا أصاب البناء الهرم ونوائب الدهر. أسباب تأخر التعليم:

⁴ فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين الطبرستاني، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، سورة إبراهيم، قوله تعالى ألم ترى كيف ضرب الله مثلا شجرة..

المتابع لأوضاع مدرستنا، على اختلاف مراحلها يلاحظ التخلف المقيت في شتى مناحيه، ويلحظ لدى طلابنا ذلك التقاعس المشين عن استنهاض الهمم، وصوغ فاعلية تعليمية تعلّمية تصنع أجيالا من أبناء الأمة تروم الحضارة والعودة إلى قيادة الناس.

ولتأخر التعليم أسباب عدة، وظروف تراكمية خلقت هذا الانحدار السحيق في هاوية التبعية في المناهج والأهداف، في استغناء كلي عن الشخصية الذاتية، والذات الحضارية المستقلة عن الآخر، والتي لا تتبعه مطلقا، إلا فيما يجمعها به من مصالح مشتركة، كون الاتباع مرفوض في الإسلام سواء كان للآباء دون بصيرة أو كان لغيرهم دون فقه.

1/ أسباب ذاتية (المعلم..)

لا شك أن الركن الركين في العملية التعليمية التعلّمية هو المعلم، ففي فساد فساد أي منظومة تعليمية مهما كانت متقنة، وذلك لعدمية رجاء نتائج من معلم ليست له قدرة تطبيق مجدية وفاعلة، ومهما صرفت على التعليم من ميزانيات، سيبقى يراوح مكانه، لافتقاد منفذي خطته ومخططاته لرؤى واضحة المعالم، محددة الأهداف.

وقد فصلنا في كتابنا (عرفتك أستاذًا فاشلاً.. بنجاح) ملامح المعلم الناجح وبمقابل أفضال غيره.. وليس الرفق بطلبة العلم ككل رفق، فالرفق بهم قد يكون على معنى بعض القسوة، وقد يكون على معنى بعض الشدة وعلى معاني كثيرة مؤداها كلها صالح الطالب، لكن أهم ما يراعيه المعلم في العملية التعليمية في كل مراحلها تجنب الظلم بكل أشكاله، لأن ظلم الطالب يبقيه كارها لمعلمه ما يولد فيه حقدا دفينا على ما يدرسه، وهو بلاء آخر نناقشه لاحقا، وتوجيه المصطفى المعلم دقيق فعن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (سَيَأْتِيكُمْ أَقْوَامٌ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ، فَقُولُوا لَهُمْ: مَرْحَبًا مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاقْنُوهُمْ"، قُلْتُ لِلْحَكَمِ: "مَا اقْنُوهُمْ ؟ قَالَ: " عَلِّمُوهُمْ)⁵

وقد حث المصطفى أمته على عدم التعنيف في التعليم بأي شكل وتحت أي ظرف، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " عَلِّمُوا وَلَا تُعْنِفُوا فَإِنَّ الْمُعْلِمَ خَيْرٌ مِنَ الْمُعْنِفِ " ⁶.

وهذا أحد فضلاء التربية والتعليم يضع الخطوط العريضة للمعلمين والمتعلمين وفق منهج نبوي دقيق،

(..وَقَدْ قَالُوا: طَلَبْنَا الْعِلْمَ لِغَيْرِ اللَّهِ فَأَبَى أَنْ يَكُونَ إِلَّا لِلَّهِ، مَعْنَاهُ كَانَتْ عَاقِبَتُهُ أَنْ صَارَ لِلَّهِ، وَيَتَّبِعِي أَنْ يُؤَدَّبَ الْمُتَعَلِّمُ عَلَى التَّدْرِيجِ بِالْأَدَابِ السُّنِّيَّةِ، وَالشَّيْمِ الْمُرْضِيَةِ، وَرِيَاضَةِ نَفْسِهِ بِالْأَدَابِ وَالِدَقَائِقِ الْخَفِيَّةِ، وَتَعَوُّدِهِ الصَّبَاحَةِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ الْكَامِنَةِ وَالْجَلِيَّةِ.

فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ يُحَرِّضَهُ بِأَقْوَالِهِ وَأَحْوَالِهِ الْمُتَكَرِّرَاتِ، عَلَى الْإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ وَحُسْنِ النِّيَّاتِ، وَمُرَاقَبَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ اللَّحْظَاتِ، وَأَنْ يَكُونَ دَائِمًا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى الْمَمَاتِ، وَيَعْرِفَهُ أَنْ بِذَلِكَ تَنْفَتِحَ عَلَيْهِ أَبْوَابُ الْمَعَارِفِ، وَيَنْشَرْحَ صَدْرُهُ وَتَنْفَجِرُ مِنْ قَلْبِهِ يَتَابِعُ الْحَكَمَ وَاللِّطَائِفَ، وَيُبَارِكُ لَهُ فِي حَالِهِ وَعِلْمِهِ، وَيُوفِّقُ لِلْإِصَابَةِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَحُكْمِهِ، وَيُزَهِّدُهُ فِي الدُّنْيَا، وَيَصْرِفُهُ عَنِ التَّعَلُّقِ بِهَا، وَالرُّكُونِ إِلَيْهَا، وَالِاغْتِرَارِ بِهَا، وَيُذَكِّرُهُ أَنَّهَا فَانِيَّةٌ، وَالْآخِرَةُ آتِيَّةٌ بَاقِيَّةٌ، وَالتَّأَهُبُ لِلْبَاقِي، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْفَانِي. هُوَ طَرِيقُ الْحَازِمِينَ، وَدَابُّ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ. وَيَتَّبِعِي أَنْ يُرَغِّبَهُ فِي الْعِلْمِ وَيُذَكِّرُهُ بِفَضَائِلِهِ وَفَضَائِلِ الْعُلَمَاءِ، وَأَنَّهُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ...)⁷

⁵ سنن ابن ماجه، كِتَاب ابْنِ مَاجَهْ، أَبْوَابُ فِي فَضَائِلِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ... بَابُ الْوَصَاةِ بِطَلَبَةِ الْعِلْمِ رقم 243.

⁶ احمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، السنن الكبرى، كتاب شعب الايمان، بابُ تَقْرِيبِ الْفُتَيَّانِ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ..502.

⁷ أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، المجموع شرح المذهب، مقدمة الامام النووي، باب آداب العلم، فصل من آداب المعلم في درسه واشغاله..

(..وهذه المعاني الجليلة نبراس لو اتبعه كل معلم لنجت سبل التعليم كلها، كون العدل وعدم التحيز وحسن الخلق في المعاملة والرفق وغيرها كلها صفات يحتاجها كل معلم مع كل متعلم مهما كان نوع التعليم أو مرحلته أو مكانه أو زمانه، ويصلح تسميتها القيم التعليمية التعلمية العالمية، ويمكن عصرها في حديث المصطفى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " اَطْلُبُوا الْعِلْمَ، وَاطْلُبُوا مَعَ الْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ، لِيَنْوَا مَنْ تُعَلِّمُونَ، وَلِمَنْ تَعَلَّمُونَ مِنْهُ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ الْعُلَمَاءِ، فَيَغْلِبُ عَلَيْكُمْ جَهْلُكُمْ".⁸

وفساد المعلم فساد أجيال بكاملها، كون المعلم قدوة متعلمه(..ومن العار لكبير أن نرى كثيرا ممن

ينتصب لتعليم النشء تعجبك أجسامهم وتبهجك بزتهم وتعظم صورهم، ولكن ما بينك وبين أن ترمقهم بضد ذلك إلا أن تحاكيم وتعاشرهم أو تجادلهم، فترى تلك الهياكل العظيمة فارغة من الفضيلة ومكارم الأخلاق والمروءة وبذلك رزئت الأمة انفع عنصر في حياة الأمم وكمالها وهو الأخلاق..⁹

2/ أسباب موضوعية:

وخير ما يمكن الاستناد إليه في الأسباب الموضوعية هذه النقول من كتاب العلامة المربي، الطاهر بن عاشور(أليس الصبح بقريب) حيث يقول:

(..واعلم أنا متى اقتصرنا في تعليماتنا على ما أسسه لنا سلفنا ووقفنا عند ما حددوا، رجعنا القهقري

في التعليم والعلم، لأن اقتصرنا على ذلك لا يؤهلنا إلا للحصول على بعض ما أسسوه وحفظ ما استنبطوه..¹⁰)

⁸ أبو بكر أحمد بن عبد المجيد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، الْفَقِيْهُ وَالْمُتَّفَقُ، بَابُ ذِكْرِ أَخْلَاقِ الْفَقِيْهِ وَأَذَابِهِ وَمَا.... اسْتِعْمَالُهُ التَّوَاضُّعَ وَلِيْنَ الْجَانِبِ وَلُطْفٌ... رقم 502.

⁹ محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، ط دار السلام مصر، 2006، ص 108.

¹⁰ محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، ط دار السلام مصر، 2006، ص 155.

وهو اقتصار فيه معنى الحجر على العقل، وهي سنن تعليمية تكاد تكون محل اجماع أو توافق بين تخصصات العلوم الإسلامية جميعها، حيث لا يشذ عنها إلا ما ندر، ويعزو الفاضل ابن عاشور ذلك إلى اغفال دور العقل المفكر والاكتفاء بالنقل، بل وجعل التفكير جريمة وسقوط(..الولع بالتوقيف والنقل . كما قدمنا . اتقاء للغلط الذي عظموا أمره في القرآن حتى قال "خطؤه كفر" زجرا للعامة عن التطرق إليه بدون تأهل، لكنها كلمة قُدمت حتى توهمها الخاصة أصلا، فأصبح الناس يغتفرون فيه النقل ولو كان ضعيفا أو كاذبا ويتقون الرأي ولو كان صوابا حقيقياً، لأنهم توهموا أن ما خالف النقل عن السابقين اخرج للقرآن كما أراد الله..)¹¹

وامعاناً في تعمد اسقاط العقل والتفكير من حياة الطالب المسلم، وبالتالي تعمد اسقاط التعليم خاصة

في مواد العلوم الإسلامية . وكل المواد اسلامية بلا استثناء . نحت الكثير من المناهج التدريسية إلى منع الطالب من التفكير بخلاف فكر شيخه، بل ومنع ذلك تحت مسميات دينية وأخلاقية وحتى بالوعيد والعقاب، فمنع النقد، وتخلي الطلبة نتيجة ذلك عن حقهم في رفض ما لا يريدونه وما لا يقبلونه، فقد أرغموا على تقبل كل قول، فقط لأنه صدر من معلم أو قبلت به مدرسة أو تبناه مذهب علمي معين، وهنا قمة الاستخفاف بالعقول والتخلي عن حقها المشروع في النقد والتفكير، القبول والرفض(..سلب العلوم والتعليم حرية النقد الصحيح في المرتبة العالية وما يقرب منها، وهذا خلل بالمقصد من التعليم وهو اىصال العقول إلى درجة الابتكار، ومعنى الابتكار أن يصير الفكر متهيئاً لأن يبتكر المسائل ويوسع المعلومات كما ابتكرها الذين من قبله، فيتقدم العلم وأساليبه، ولا يكون ذلك إلا بإحداث قوة حاکمة في الفكر تميز الصحيح من العليل مما يلقي إليه..ثم أصيب التعليم الاسلامي في عصور الانحطاط بشيء من سلب حرية النقد..¹²

¹¹ المصدر نفسه ص161.

¹² المصدر نفسه، ص109.

ثم تتعمق الهوية بين التعليم الشرعي وبين التطور المراد، كون التعليم الشرعي افتقد لأهم صفة فيه، وميزة تميزه، وهي الأخلاق لدى المتعلم والمعلم، فغدا الكل يسعى شيء بعيدا عن الأخلاق، فالمتعلم لا يهتم غير نقاط بها تكتمل شهادته، ومعلم لا يهتم سوى رزقه، راتبا ومراتبا، وتخلي هذا وذاك عن كل سمو نفسي وأخلاقي، ومن هنا جاء الدخل..عزو التعليم عن مادة الآداب وتهذيب الأخلاق، وشرح العوائد النافعة وغيرها، وهو السبب الذي قضى على المسلمين بالانحطاط في الأخلاق والعوائد، وقد اعتنى المسلمون في صدر الاسلام بذلك فتلقوا آداب القرآن وهدى الرسول، ثم عززوه في عصور نهضتهم بعلوم الشريعة والمواعظ، أما اهماله بعد ذلك فسببه تأخر المسلمين وقصور أنظارهم، واعتقادهم أن العلم منحصر فيما تتضمنه القواعد العلمية كالنحو والفقه، وبعبارة أخرى، ميل طائفة العلماء إلى الحفظ والاستكثار من فروع المسائل ومن عدد العلوم.. وإذا ذهب وقت التعليم عن الطلبة ولم يتلقوا فيه فضائل الأخلاق فمن العسير أو المتعذر تلقيها لهم من بعد، لأن فيما يدخل فيه المحصيل على الشهادة أو نحوه، من معترك الحياة شغلاً شاعراً عن ذلك..¹³

هذا الوضع المأساوي للتعليم، ضعفا وجمودا وعدم قابلية للتطور وخلق غد مشرف تحت الشمس، توجب إيجاد التجديد الضروري والإصلاح والتغيير والتبديل والاحداث، بعين ترمق غد أمة كانت تملأ عين الشمس لقرون، فتحوّلت بلا مكانٍ تحتها.

وهذا الرئيس ابن باديس يوضح منهج الفهم أولا بين الأطراف المتفاعلة في العملية التربوية، فيقول: (فنحن - أيها الإخوة - الذين اجتمعنا على التربية والتعليم من مُعلِّم ومتعلم يجب علينا أن يفهم بعضنا بعضاً. والمعلّم هو الذي يجب أن يفهم المتعلمون ويُفهمهم هو في نفسه؛ لأنه هو الذي انتصب ليُبَيِّنَ فيهم أفكاراً وأخلاقاً وآداباً، وهو مؤثر عليهم أثراً ما لا محالة، فمن واجب نصحه لهم أن يفهمه في نفسه، لينظروا في قبول التأثير به فيستمرّون معه، وعدم قبوله فيفارقونه،

¹³ المصدر نفسه ص 108.

وليكون من قبلوا واستمروا مجتمعين على شيء قد فهموه واتفقوا على البقاء فيه والتعاون عليه.

وأنا أظن نفسي مفهومًا عند من يتصلون بي مثلكم ولو كان ذلك في زمن قليل لأنني ما فتئت أعلن عن فكرتي التي أعيش لها وغايتي التي أسعى إليها في كل مناسبة.¹⁴

التجديد:

اليقين المطلق وتمام الإيمان أن الشريعة قابلة للحياة والاحياء في كل زمان ومكان وظرف، ولقد شاء البارئ جلّ وعلا لهذه الرسالة الخاتمة أن تحمل بين دفتي القرآن وسنة الهادي سرّ بقاءها وتجديدها واستمراريتها ودوامها، لذا فدعوة القرآن للتجديد نجدها بصراحة حين يدعو المرسل إليهم، لمناقشة العقائد السالفة، ونبد عقيدة الآباء الفاسدة ويستنكر عليهم الجمود عليها، ويثبت فسادها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ سورة التوبة: 23، ويسقّوها في أكثر من موقع كقوله تعالى ﴿... أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ سورة البقرة: 170، ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاؤُنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ سورة لقمان: 21، وحين يعدّ الإطاعة والإتباع الأعلى في مرتبة الشرك بالله: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُحَبَاءَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ سورة التوبة: 31، وعندما يحرض على الاستجابة لدعوة الأنبياء المصلحين المجددين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ سورة الأنفال: 24، ويقرّر أن حياتهم فيها، فأعظم أدوات التجديد وأهمها وأولها وجذرها هو تحرير العقل من أصنام الفكر وحث الإنسان على التفكير الحر المتوازن بعيداً عن كل ضغط خارجي أو ذاتي، وهذه من أعظم القضايا التي حرص عليها الدين فلم يقبل إلا الإتباع المختار الواعي عن قصد ونية بل ولم يقبل عملاً من الإنسان إلا عن وعي وقصد ونية منبعثة من الذات لا

¹⁴ عمار الطالبي ، آثار عبد الحميد بن باديس، ط دار الغرب الجزائرية سنة 1983م، ج 3 ص 233.

بالتبعية، وحمل الإنسان تبعية عمله والمسؤولية عنه رافضاً التعلل والتبرير بقول
إنما كنا تبعاً، وليت شعري فهذه عكرة التجديد.

وحتى لا يستغرب القارئ فإنه لم ترد كلمة (تجديد، التجديد) في القرآن الكريم
لفظاً مستقلاً، ولكن تكرر لفظ "جديد" ثماني مرات في آي الذكر الحكيم،
وجميعها ارتبطت بـ(الخلق والانشاء): ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ
خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ سورة ق 15،

﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَاباً أَوَّانًا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
﴾ سورة الرعد: 5.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ
جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ سورة ابراهيم 19، 20.

كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِنْ
يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ سورة فاطر: 15 -
17، وقوله: (وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) أي: بعظيم ولا ممتنع،
بل هو سهل عليه إذا خالفت أمره عصياناً وتعمداً، أن يذهبكم ويأتي بآخرين على
غير صفتكم، وهو معنى التبدل تجديدًا الوارد في آيات أخرى، حيث قال تعالى:
﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ سورة محمد: 38،
وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ
يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۖ﴾ سورة المائدة: 54، وقال سبحانه: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَهْلُهَا
النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ سورة النساء: 133.

ويمكننا تقسيم التجديد إلى قسمين:

قسم عام وآخر خاص، أما العام فهو ما تعلق بالحضارة والقيام بدور القيادة
قيادةً للبشرية نحو ربها، تحقيقاً للاستخلاف الكوني ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي
جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ سورة البقرة 30، وأما الخاص فما تعلق ابتداء بتقويم
الأنفس وتزكيتها، وربطها بمحيطها فاعليةً إيمانية موجهة للتغيير والتغير.

ويكون التجديد العام، وهو الفرض الكلي على الأمة، بيقينية ضرورة التجديد، ورسم الإرادة التجديدية الحضارية للأمة بالتطوير المتواصل والمدرّوس بعناية، لقدراتها بين الممكن والمأمول والمتوفر والواجب توفيره، ومن ثم شحذ الهمم بالاستثمار الفعال للممكن توفيره اعداداً، وابراراً للقوة المنشودة مغالبةً وجودية، في رفع مستوى أداء حركة الأمة الخيرة نظرياً سعيّاً لجعلها خيرة فاعليةً وواقعا، بالدعوة الراشدة المرتكزة إلى العلم، ومسايرة التغيرات الكونية للبشرية واتباع سنن الله في خلقه قوة وضعفاً، والانطلاق نحو البناء المتين على أسس أمتن، والمواجهة تدافعاً بقاءياً، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ سورة البقرة: 251.

تدافعٌ كوني وسنة ربانية، تطهيرا للأرض من السوء، وتنقية للطيب من كل شائبة قد تدخل في تركيبته، فتلوته بما لا ينبغي أن يكون فيه، تمحيصاً لنقائه، وتطهيراً لجوهره، ورفعاً لمقامه: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ سورة الرعد: 17.

ومعلوم ومشاهد أن حق قيادة الناس يكون دائماً للأصلح الذي يحقق الخير والنماء والرخاء لهم، بما

يحقق حضارة الإنسان ورفعته، وعلوه بقيمه السامقة، حيث تزكو النفس البشرية طهارةً، فتعلو القيم الأخلاقية على الشهوات، وتجنح الروح تقود البدن نحو الخلاص من الطين الأسر، وصولاً بالناس والنفس إلى تحصيل الميراث المرام، والزكاة المنشودة قرانياً، وتحقيق التوجيه الرباني غلبةً للصالح ودحرًا للطلاح: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنبياء: 105، 107.

تجديد عام وكلي، يروم العودة بالأمة إلى القيادة والنجاة من مفاوز الهلاك الوجودي، تجديدات عدة والتي تمر عبرها عملية التحول الفكري والروحي

والسلوكي والاجتماعي للأمة بغية تمكينها مرحليا من تجاوز وضعيتها الوهن والغنائية الواقع فيها حال الأمة في دهورها الأخيرة، والموصوفة نبويا (عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكُمْكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ)¹⁵

والانتقال بها تدريجيا الى مرحلة المواكبة والمنافسة والقيادة والقوامة الحضارية التي تمنحها امكانية ممارسة مهمة الشهادة ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ سورة البقرة 143، ومهمة المغايرة الفعلية حقيقة واقعة، وتصور خاص مبناه على عقيدة متينة أساسها التوحيد الكامل.

أما التجديد الخاص، فهو مغايرة بناء الأنفس وتزكيته من خلال نقل تصوراتها البنائية من ذات تُبنى لذاتها، وبين ذات تُبنى لتكون جزءاً من منظومة متكاملة في البناء التجديدي العام، فينتقل بناء الأنفس الفردية لتصلح صلاحاً فردياً، لتكون بناءات فردية ضمن نطاق وطوق عام وكلي، يجعل من تزكية الفرد في سلوكياته الفردية حلقة للانطلاق نحو البناء العام والشامل والكلي، أي الحلقة من العقد العام، تصلح بصلاحيها مجموعة الانتظام النسقي للفعل الموجد للتجديد الكلي. صلاح الفرد وتزكيته وتوعيته لا ليكون فرداً صالحاً في ذاته ولذاته فقط، بل ليكون فرداً صالحاً ضمن مشروع الأمة الصالحة، وإلا كان عندنا أفراداً صالحون لا وحدة تجمعهم غير الدين كعنوان كبير وعام، لكنهم لا يتحركون نحو تحقيق المغايرة والخيرية الحضارية، وهنا يكون المشروع قد حرم من الوجود ابتداءً، لسوء التوجه الموجد للترابط الضروري بين الفرد وبين الأمة، فتجديد التزكية بأن توجه نحو صلاح عام للأفراد، وفعل جمعي وجماعي للأنفس.

¹⁵ محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود في شرح سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، رقم 4297.

والثابت قرآنيا وجوب التزكية الفردية ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ سورة النازعات 40، 41. وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ سورة طه: 124، 126.

لكن الخطابات الربانية بضرورة التزكية سرعان ما تتجه للخطاب الجمعي للأمة، فيكون الفرد مرحلة عبور نحو الكل، وجسرا نحو العام، لتكتمل صورة الوجود لأمة التوحيد، التي زكى أفرادها فكانت أمة زاكية وزكية، متجددة استجابا للقوة المطلوبة تحقيقا للخيرية، تجددا وتجديدا لا يرتبط بأجل زمني أو مكاني بذاته، ولا زمن حال أو مآل ولا ظرف محدد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ سورة آل عمران 102.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ سورة النساء 01.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ سورة الأحزاب 70-71. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ سورة التوبة: 119.

وربط ذلك كله باليقين في العلم والعمل بالدور الاستخلافي، والمهمة الرسالية للمؤمنين في الكون والحياة، وارتباط ذلك كله بالتوجيه الرباني وتذكير المسلم بالآخرة لكون الدنيا دار ممر واختبار ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ سورة المؤمنون: 115.

ضرورة التجديد وضوابطه:

1/ ضرورته: انطلاقاً من توجيه المصطفى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِيمَا أَعْلَمَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا¹⁶

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني: (.. ثُمَّ قَالَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الطَّائِفَةُ جَمَاعَةً مُتَعَدِّدَةً مِنْ أَنْوَاعِ الْمُؤْمِنِينَ. مَا بَيْنَ شَجَاعٍ وَبَصِيرٍ بِالْحَرْبِ وَفَقِيهِ وَمُحَدِّثٍ وَمُفَسِّرٍ وَقَائِمٍ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَزَاهِدٍ وَعَابِدٍ، وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونُوا مُجْتَمِعِينَ فِي بَلَدٍ وَاحِدٍ، بَلْ يَجُوزُ اجْتِمَاعُهُمْ فِي قُطْرٍ وَاحِدٍ وَافْتِرَاقُهُمْ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَجْتَمِعُوا فِي الْبَلَدِ الْوَاحِدِ وَأَنْ يَكُونُوا فِي بَعْضٍ مِنْهُ دُونَ بَعْضٍ، وَيَجُوزُ إِخْلَاءُ الْأَرْضِ كُلِّهَا مِنْ بَعْضِهِمْ أَوَّلًا فَأَوَّلًا إِلَى أَنْ لَا يَبْقَى إِلَّا فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ بِبَلَدٍ وَاحِدٍ فَإِذَا انْقَرَضُوا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ، انْتَهَى مُلَخَّصًا مَعَ زِيَادَةٍ فِيهِ، وَنَظِيرُ مَا نَبَّهَ عَلَيْهِ مَا حَمَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْأَيْمَةِ حَدِيثَ: إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ فِي رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ وَاحِدٌ فَقَطْ بَلْ يَكُونُ الْأَمْرُ فِيهِ كَمَا ذَكَرَ فِي الطَّائِفَةِ وَهُوَ مُتَّجِهٌ، فَإِنَّ اجْتِمَاعَ الصِّفَاتِ الْمُحْتَاجِ إِلَى تَجْدِيدِهَا لَا يَنْحَصِرُ فِي نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ، وَلَا يَلْزَمُ أَنْ جَمِيعَ خِصَالِ الْخَيْرِ كُلِّهَا فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ..)¹⁷

وانطلاقاً من فساد الواقع التعليمي، فإنه لا مناص من أحداث التغيير والتجديد والإصلاح، كون ذلك ضرورة حضارية ودينية وأخلاقية، فليس من المروءة الحضارية في شيء إبقاء الوهن معلماً ثابتاً جثوماً على صدر الأمة، وهي مسئولية كل من يعي الضرورة التغييرية حضارياً.

لكن هذا التجديد لا يكون مطلقاً دون قيود، كما لا يكون مقيداً يمنع حق المبادرة للتغيير وأحداث ثورة مفاهيمية في التعليم، يكون بمقدورها خلق توازنات جديدة تحصن الأجيال من كل ما من شأنه إبقاء الحال على ما هو عليه ضعفاً، وكذا

¹⁶ سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني أبي داود، سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، رقم 4291

¹⁷ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي لا تزال طائفة.. رقم 6882.

السعي بالمدرسة لتكون قائدة التغيير المجتمعي والذهني للناس، كون كل تغيير واقعي يُكتَب عليه العقم ما لم يتزود بمؤهلات تغيير وتجديد فكرية وعلمية متينة ومدرسة بعمق.

والحقيقة الواجب تجليتها في ذا المقام، أن الفكر الإسلامي ومنذ ظهور الدعاوى التجديدية مع ظهور المدارس الفكرية الحديثة والمعاصرة، انقسم باتجاهين رئيسيين وثالث مكمل، وعند البحث والتدقيق نجد ظهور هذه الأقسام نتيجة طبيعية لتراكمات عصور طويلة مرت على الأمة، خمد خلالها الفكر وتجمدت المباحث الدافعة للتجديد والتغيير، وحدث نتيجة لذلك أن ابتلي الفكر الإسلامي بانتكاسة خطيرة جردته من معاني التواصل مع الغد، وحتى مع الأمس المشرق للمة حيث كان للفكر سلطته، وللعقل مكانته السامقة، ولكنه الرماد نتاج النار المشتعلة لخير الناس، وبالباحث يكون القسمان الرئيسيان على طرفي نقيض، حيث:

أ/ قسم لا يؤمن بالتجديد أصلاً، كون أي تجديد في الأمة وطرق توصيل الشريعة للناس إنما سيوصل حتماً إلى السطو على النصوص قرآناً وسنة وتراثاً (فقهياً وتفسيرياً..)، كون التراث ملحق بالنصوص وله قريب من قدسيته، على اعتبار خيرية القرون الأولى، وفي هذه السلطة المعطاة للتراث والنص يحجر على العقل وحركية التفكير الضروري للحياة، فلا يتاح له قراءة النص إلا من خلال النص ومن خلال عيون السابقين، وإلا كان خارجاً عن "الملة" وهذا مخالف للنصوص نفسها، حيث هناك العديد من الآيات القرآنية التي تحت أولي الأبواب، وذوي العقول على التعقل والتدبر، والاعتبار فيما أنزل الله إلى الناس هدياً وتشريعاً، وإلى النظر في ملكوت السماوات والأرض، والأنفس والآفاق، مع القدرة على تغيير ما يجب تغييره من حيث انزال النصوص على الوقائع، بقراءة الواقع والتطلع نحو ديمومة صلاحية الشريعة للتطبيق في كل ظرف زمانا ومكانا وبشراً، منها قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْضِرُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) سورة الروم: 42، وقوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) سورة آل عمران: 91،

وقوله: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ) سورة العنكبوت: 43، وقوله أيضاً: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) سورة البقرة: 269.

ب/ قسم التغيير الجذري، فبمقابل القسم الأول يوجد قسم ثاني وغلب عليه الحداثيون وحتى الكثير من اللادينيين المجترئين على الشرائع، ويرى هؤلاء أنّ كل شيء خاضع للتغيير والتبديل، ولا فرق عندهم بين الثابت (الأصل)، والمتغير (الفرع)، وبهذا يمنح العقل سلطة أعلى ويصبح النص سواء (القرآني أو الحديثي) كأي نص آخر فاقداً للقدسية والسلطة الممنوحة إياه؛ لأن النص عند هؤلاء، كأي نص تاريخي أنزل في زمن محدود، وواقع محدود، فالواقع الذي أنزل فيه النص الإسلامي (قرآن وسنة)، هو واقع يتصف بالبداوة والبيئة الصحراوية، فلا نستطيع أن نستصحب أحكام هذا النص إلى هذا الواقع الجديد، الذي يتصف بالتعقيد والتركيب والتطور الكبير، ومدخلهم إلى هذا المجال الحدود، وقد عرفت العقود الأخيرة موجة هائلة من الكتابات في هذا الاتجاه، بداية ببذرة المستشرقين، ثم تقمص كتاب من أصول إسلامية لنشر الفكرة، انطلاقاً من جامعات غربية دعمت الفكرة بعدما زرعها، وحملها أبناء ضالون من الأمة نفسها،

ملخصها إعادة قراءة تراث الأمة الإسلامية ومعه النصوص (قرآن وسنة) وفق أسس ومناهج جديدة، تمشيًا مع الحداثة واطلاقاً لعنان العقل يجوب الفكرة ويقرأ النصوص وفق قدرته هو، قطعاً للعلاقة مع الماضي مهما كان هذا الماضي، اهتماماً حد الانغراس في الراهن المعيش.

ولقد تجرأ هؤلاء فأطلقوا ما سموه إعادة قراءة النص القرآني، وتفكيك نصوصه وفق مقتضيات ومتطلبات العصر، ووفق ما يقودنا نحو حداثة متقدمة، تخلق وجوداً آخر للأمة، وتسير بها نحو مواكبة فاعلة للبشرية الحديثة ولغة العصر الحالي، وبناءً عليه يفقد القرآن الكريم "قدسيته كونه موحى به"، ويتحول في منظورهم "منتجاً" قابل لإعادة التدوير والقراءة؛ وفي هذه المنطلقات بعض الصواب والكثير الكثير من الخطأ والكيد، فالصواب كون الدعوة بإعادة القراءة مطلب شرعي لكل جيل، لكن الغلط المبين في تبني رؤية تهدم القدسية، ومن ثم

يتساوى النص "القرآني" مع أي نص آخر، يقول نصر أبو زيد في هذا الصدد: (..إنَّ النصَّ القرآني في حقيقته وجوهره منتج ثقافي؛ والمقصود بذلك أنَّه تشكّل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عامًا، وإذا كانت هذه الحقيقة تبدو بديهيةً ومتَّفَقًا عليها، فإنَّ الإيمان بوجود ميتافيزيقي سابق للنصّ يعود لكي يطمس هذه الحقيقة البديهية، ويعكّر من ثَمَّ إمكانية الفهم العلمي لظاهرة النصّ..¹⁸)

ولكن يبقى محمد أركون أبرز علامة فارقة نشرت هذا التوجه التجديدي، والذي يتخلّى عن النص لصالح العقل، حيث ساوى بين النص القرآني والنص الأدبي، وفي كتاباته الكثير من الأغلاط الكبرى، حيث يرى أن منهجه علمي أكاديمي، لكنه تجرأ على أبرز فة للنص القرآني وهي كونه وحي لا تبديل لكلماته، وأنه محفوظ من كل تحريف، فهو يقول: (..تحليل الخطاب الديني أو تفكيكه لتقديم معانيه الصّحيحة وإبطال التّفاسير الموروثة، بل لإبراز الصّفات اللّسانية اللّغوية وآلات العرض والاستقلال والإقناع والتّبليغ والمقاصد المعنوية الخاصّة بما أسمّيته الخطاب النّبوي..¹⁹)

والقارئ لكتب ومقالات محمد أركون يدرك يقينا أنه وفيّ للحدّثة المبشرة بالانسلاخ عن النص وقديسيته، والانتقال إلى تقديس العقل وامكانياته، وهو في مشروعه يسعى بجهد لا يفتّر إلى "زحزحة" المحرّمات الفكرية و"اختراق اللامفكر فيه، قصد تجاوز كلّ ذلك إلى أفق الحدّثة الرّحب، إنّه يجزم القول بأنّه لا يمكن بناء الحدّثة دون تصفية الحساب مع "التّراث الثيولوجي"، بل ويرجع ظاهرة العنف والتّطرف إلى شيوع التّفسير الحرفي للنصّ القرآني، هذا التّفسير الذي يلجأ إلى بتر الآيات عن سياقاتها، وتحويل آثار المعنى إلى معنى مطلق لا يطاله التّغيير، عكس ما يستهدفه هو من إشاعة إسلام مبني على العقل المحمل ببذور التّنوير، نازعًا مشروعية تدبيره عن حراس التّفسير الحرفي والظاهري، قدماء ومحدثين،

¹⁸ نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن، ط المركز الثقافي العربي، بيروت،

الطبعة الثانية، ص 24

¹⁹ محمّد أركون، القرآن من التّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة وتعليق هاشم

صالح، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية، 2005، ص 5

ولأنّ الحداثة لا تنفكّ عن العلمانية، لتلازمهما تلازم الروح والجسد، فهو يؤكّد على جعل الإسلام شأنًا شخصيًا لا دخل للدولة أو حتى الجماعة فيه...، إنّه يريد بهذا المشروع أن يزحزح مفهوم الحقيقة المطلقة، وذلك بتفكيك مسلمات التفسير اللاهوتي التقليدي، الذي يؤدّي إلى "أسطورة القرآن" وإفقاده صفته التاريخية، لذلك يحتج على تنصيب القرآن مرجعًا أعلى ونهائيًا للبشر، وجعله يحتوي على الأجوبة والحلول النهائية للأسئلة التي يطرحها المسلمون في كلّ زمان ومكان، فهو يُخضع النصّ القرآني بذلك لمحكّ النقد التاريخي المقارن، وللتحليل الألسني، وللتأمّل الفلسفي المتعلّق بإنتاج المعنى²⁰

وأركون علماني من أصول إسلامية، تلقى تعليمه على يد الآباء البيض وتربى على يد المستشرقين الفرنسيين الذين لا يؤمنون بقدسية النصّ القرآني، كونهم لا يؤمنون بربوبيته، ولهذا جاءت توجهات أركون موافقة لمنهجهم القرائي للقرآن الكريم، ومنها دعوته إلى (إعادة قراءة النصّ المقدّس على لزوم قراءة التراث بصفة عامّة بكلّ الطّرق والمنهجيّات المتاحة، وبما يؤدّي إلى تحقيق التّاريخيّة الوظيفيّة التي تمثّل جوهر مشروعه، حيث كان يسعى لإعادة التّموضع التاريخي للنصوص المؤسّسة، وبالتالي تأكيد ملازمتها للحدود الثقافيّة التي نشأت فيها وانطلاقاً منها، من غير أن يُغفل المدخل الأنثروبولوجي والاستفادة الميثولوجيّة وتعدديّة المنهج القرائي، وهي الملامح التي وفّرت خصوصيّة فارقة في القراءة الأركونية للنصّ الإسلامي المؤسّس، القرآن الكريم، وأتاحت له استحضار المعاني الرّوحيّة والأخلاقيّة في صلب المساجلة العلمانيّة..²¹)

ومدخل هؤلاء الكبير هو الحدود، ففي حين يقول الله تعالى في سورة المائدة 38 ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وقطعت أيادي السارق في المدينة وفي غيرها، وجاء الغضب النبوي

²⁰ إبراهيم الطالب، الحداثيون والقرآن الكريم: محمّد أركون نموذجًا، جريدة السبيل المغربية،

العدد 113، بتاريخ: 16 ديسمبر 2011

²¹ نادر المتروك، رحيل أركون إشعار بلزوم قراءة التراث بمختلف المنهجيات المتاحة، جريدة الوسط

الإماراتية، العدد 2939 بتاريخ: 23 سبتمبر 2010

موافقا للتوجيه الرباني ففي حديث عائشة رضي الله عنها أن قرئشا أتهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب ثم قال إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها²²

إلا أن قراءة هؤلاء جاءت بإنكار حد القطع لأن الربط التاريخي لنزول الآيات وتطبيقه استلزم انعدام السجون، ووجود البيئة الصحراوية وانتقال العرب تبعاً لمراعيهم استوجب عدم اتخاذ السجون.

ج/ قسم وسطي، فبين منهج تجديد يؤله العقل، ومنهج يعصم القدامى، بقيت العلوم الإسلامية حبيسة تاريخ مجيد وحاضر بليد وغدٍ ضبابي بل ربما معتم، والحري بالأمة أن تنتهج منهجاً وسطاً، يعطي للنصوص قدسيته ولنظرة القدامى مكانتها، ولكنه يفتح أمام العقل فرصة اثبات وجوده التجديدي، جمعا بين العقل والنص، تمييزاً بين الأصول والفروع، الثابت والمتغير، الرباني والبشري، الاجتهادي والموحي به..

2/ ضوابطه:

أ/ شمولية النظرة التجديدية:

التجديد في التعليم، ضرورة ملحة، لكنه ليس عبثاً يقوم به كل الناس، ولا هو حاجة يلجأ إليها كلما أريد تحقيق مأرب (سياسية واقتصادية..)، إذ التجديد عملية حضارية تقوم بها الأمم حال تحتاج إليها لتتقدم، فوجب تقيدها بالشمولية المبنية على تكامل مع بناءات أخرى تحقق التجديد المبتغى وفق الأهداف الكبرى التي ترومها الأمة.

²² محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم

3288. وعند مسلم بن حجاج النيسابوري، الصحيح، كتاب الحدود، باب قطع يد السارق، رقم

ومن هنا يكون كل تجديد لا يأخذ بالحسبان مشروع الأمة الحضاري، وتوجهاتها الكبرى، تجديدا عبثيا ناقصا، سرعان ما سيحتاج إلى تغيير وتحويل وتحويل وتبديل، وفي هذا ضياع مقدرات الأمة، وفوت الأوقات الثمينة من عمرها، وتجنبنا لكل هذا يتوجه التجديد إلى تفعيل التجديد المستغرق لأجيال من الأمة، وفق تطلعات ودراسات استشرافية، تبني الأمة في غدها، وتحضر لذلك كل ممكن.

ب/ عمق وتدرج النظرة الى عملية التجديد:

أخطر ما يقع فيه الداعون إلى التجديد هو النظرة "المؤقتة" للتجديد، على اعتبار التجديد حاجة طارئة وفي ذلك ظلم للتجديد واهدار لطاقات الأمة ورهن لحياتها، والواجب دينيا وأخلاقيا وعلميا أن يكون التجديد مؤسس على بناءات وأسس متينة مغرقة في العقل والفكر والبحث والمقاربات والمقارنات واستغلال الخبرات، مع وضوح الرؤية في اتجاه التغيير الضامن لنتائج تغير حالنا به ضعف بحال أفضل فيه معاني القوة، ولأن التعليم أساس كل قوة تغدو كل عملية استيراد مناهج ومنظومات تعليمية من هنا أو هناك مجرد ترقيع لا يمكنه أن ينتج مشروعا حضارياً، وسيبقى القائمون على ذلك كالراقع حال اتسع عليه الفتق وتمدد..

ج/ تعبدية النظرة الى عملية التجديد:

ربط كل جهد تجديدي بتحقيق الاستخلاف الكوني، والقيادة الحضارية وترسيخ مبدأ الخيرية البشرية، وما لم يوضع ذلك في معايير التجديد بقيت كل العملية مرهونة بتجاذبات لا قيمة لها إلا بما تحققه في أنها، ترقيعا ومغالبة حاضرة، لا تفيد منها المنظومات التعليمية شيئا.

أهمية مراعاة التقصيد في الدعوى إلى التجديد:

نحاول بهذه الأمثلة التوضيحية تلخيص التوجيه نحو تقصيد التجديد، وإعطاء النماذج النصية أبعادا واقعية تروم رسم فكرة تطبيقية تروم نشر الدين بعلمية مع مراعاة العقل والحفاظ على النص، من خلال إبراز البعد المقاصدي لبعض النصوص والتي قد تغيب عن المدرس أو واضع البرامج الدراسية، حيث ينشغل

بوضع الاطار العام للدرس غافلا عن إعطاء أبعاده الكبرى ومقاصده الكلية، والتي إن وضحت وأُطرت تحبك ربطه بالعالمية والأممية والبشرية جمعاء، كون الإسلام لم يأت لأمة واحدة بل رام جميع البشر، لأنه لما أشرقت شمس الإسلام على الدنيا، واختاره الله ليكون خلاصة الرسالات السماوية، كان هو العقيدة العامة إلى جميع شعوب الأرض قاطبة وكانت رسالة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم هي الرسالة العامة في المكان والزمان لا يشاركه فيها أحد سواه كونه ختام النبيين والمرسلين ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ سورة الاحزاب 40

فرسالته عامة، رحمة للعالمين لمن آمن به ولمن لم يؤمن به على السواء ، وقد وردت آيات كثيرة وأحاديث صحيحة تثبت عالمية رسالة الإسلام و عمومها لجميع بني البشر: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنبياء 107. وقوله: ﴿...قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنعام 90. وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ سورة الفرقان 1. وقوله: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ سورة القلم 52،

وقوله سبحانه: ﴿فَإَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ سورة التكويد 26: 27. وكلها آيات دالة على عموم رسالة الإسلام ما يفيد عالمية وعموم الرسالة للمعمورة والبشرية، وبما يفيد وجوب إيصال الرسالة للناس جميعا: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ سورة الأعراف 158. رسالة عظيمة لتخرج الناس من ظلمات البشرية الضيقة إلى الربانية التي تسع البشر رحمة وسكينة، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ سورة النساء 174. "، ولكنه دين دعوة وسلام، لا إكراه لأحد عليه، فمن اهتدى فله ومن ضل فعليه، قوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَمْتَصِدْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلْمًا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ سورة يونس 108،

والذين يضلون هم من لم يعقل سماحة الدين سواء ممن أسلم اسماً أو ممن اتبع غير دين الحق: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

لَا يَعْلَمُونَ ﴿سورة سبأ 28﴾، وقوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ "سورة الأعراف الآية 158". فكلمة كافة وجميعاً من ألفاظ العموم. وهي عالمية تستوجب تكليفاً ربانياً بحمل رسالة التوحيد للناس، تكليف ورد بيانه في كثير من آيات القرآن وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ "سورة آل عمران الآية 110"، وثمره ذلك كله الشهادة على الناس جميعاً، والوقوف أمام الله وقفة من يؤدي واجبه المنوط به تبليغاً للناس ومن ثم تبرئة ذمته الرسالية، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً...﴾ "سورة البقرة الآية 143".

أمثلة تقصيدية لنصوص:

1/ القبول بحق الآخر كيفما كان (التعايش) = كل مما يليك..

عن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، يَقُولُ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا غُلَامُ، سَمِ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)²³

وذهب شراح الحديث إلى فردية التوجيه النبوي للغلام ومن يكون في مقامه، فقال ابن القيم في زاد المعاد (2/405): وكان صلى الله عليه وسلم يأمر بالأكل باليمين، وينهى عن الأكل بالشمال، ويقول: ((إن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله))، ومقتضى هذا تحريم الأكل بها، وهو الصحيح؛ فإن الأكل بها إما شيطان، وإما مشبه به، وصح عنه أنه قال لرجل أكل عنده فأكل بشماله: ((كل بيمينك))، قال: لا أستطيع، قال: ((لا استطعت))، فما رفع يده إلى فيه بعدها، فلو كان ذلك جائزاً

²³ محمد بن اسماعيل البخاري، الصحيح، كتاب الاطعمة، باب التسمية على الطعام والاكل

باليمين، رقم 5376، ومسلم بن حجاج النيسابوري، الصحيح، كتاب الأشرية، باب آداب الطعام

والشراب وأحكامهما رقم 2022

لما دعا عليه بفعله، وإن كان كبره حمله على ترك امتثال الأمر، فذلك أبلغ في العصيان واستحقاق الدعاء عليه).

والفردية في توجيه الحديث موجودة حتى عند كبار شراح السنن، وهو منهج اعتمده من نقل عنهم من الدارسين وواضعي المناهج التربوية والدراسية، اكتفاءً بالفردية في النظر إلى النصوص، وكأن الرسول الكريم قصد الفرد والأكل فقط، والحقيقة أنه قصد الفرد والأكل ومعهما غيرهما كثير، يقول الحافظ بن حجر: (..قَوْلُهُ (وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَمِمَّا يَلِيكَ) قَالَ شَيْخُنَا فِي "شَرْحِ الزَّيْمِيدِيِّ" حَمَلَهُ أَكْثَرُ الشَّافِعِيِّ عَلَى النَّدْبِ، وَبِهِ جَزَمَ الْعَزَالِيُّ ثُمَّ النَّوَوِيُّ، لَكِنْ نَصَّ الشَّافِعِيُّ فِي "الرِّسَالَةِ" وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ "الْأَمِّ" عَلَى الْوُجُوبِ. قُلْتُ: وَكَذَا ذَكَرَهُ عَنْهُ الصَّبْرِيُّ فِي "شَرْحِ الرِّسَالَةِ" وَنَقَلَ "الْبُؤَيْطِيُّ" فِي مُخْتَصَرِهِ "أَنَّ الْأَكْلَ مِنْ رَأْسِ اللَّيْثِ وَالتَّغْرِيسَ عَلَى الطَّرِيقِ وَالْقِرَانَ فِي الثَّمَرِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَ الْأَمْرُ بِضِدِّهِ حَرَامٌ، وَمَثَلُ الْبَيْضَاوِيِّ فِي مَنَاهِجِهِ لِلنَّدْبِ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "كُلْ مِمَّا يَلِيكَ" وَتَعَقَّبَهُ تَأْجُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ فِي شَرْحِهِ بِأَنَّ الشَّافِعِيَّ نَصَّ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ عَلَى أَنَّ مَنْ أَكَلَ مِمَّا لَا يَلِيهِ عَالِمًا بِالنَّهْيِ كَانَ عَاصِيًا آثِمًا. قَالَ: وَقَدْ جَمَعَ وَالِدِي نَظَائِرَ هَذِهِ الْمُسْأَلَةِ فِي كِتَابٍ لَهُ سَمَّاهُ "كَشْفُ اللَّبْسِ عَنِ الْمَسَائِلِ الْخَمْسِ" وَنَصَرَ الْقَوْلَ بِأَنَّ الْأَمْرَ فِيهَا لِلْوُجُوبِ. قُلْتُ: وَيَدُلُّ عَلَى وَجُوبِ الْأَكْلِ بِالْيَمِينِ وَرُودُ الْوَعِيدِ فِي الْأَكْلِ بِالشَّمَالِ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ فَقَالَ: كُلْ بِيَمِينِكَ قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ. قَالَ: لَا اسْتَطَعْتُ. فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ بَعْدُ وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ سُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى سُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةَ تَأْكُلُ بِشِمَالِهَا فَقَالَ: أَخَذَهَا دَاءُ غَرَّةٍ، فَقَالَ: إِنَّهَا قُرْحَةٌ، قَالَ: وَإِنْ، فَمَرَّتْ بِغَرَّةٍ فَأَصَابَهَا طَاعُونٌ فَمَاتَتْ وَأَخْرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ الرَّبِيعِ الْجِزْرِيُّ فِي "مُسْنَدِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ نَزَلُوا مِصْرَ" وَسَنَدُهُ حَسَنٌ وَتَبَتِ النَّهْيُ عَنِ الْأَكْلِ بِالشَّمَالِ وَأَنَّهُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ وَمِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَعِنْدَ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَائِشَةَ رَفَعَتْهُ "مَنْ أَكَلَ بِشِمَالِهِ أَكَلَ مَعَهُ الشَّيْطَانُ" الْحَدِيثُ. وَنَقَلَ الطَّبْرَانِيُّ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ أَيْ يَحْمِلُ أَوْلِيَاءَهُ مِنَ الْإِنْسِ عَلَى ذَلِكَ لِيُضَادَّ بِهِ عِبَادَ اللَّهِ

الصَّالِحِينَ " قَالَ الطَّيِّبُ: وَتَحْرِيرُهُ لَا تَأْكُلُوا بِالشِّمَالِ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ كُنْتُمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْمِلُ أَوْلِيَاءَهُ عَلَى ذَلِكَ أَنْتَهَى. وَفِيهِ عُدُولٌ عَنِ الظَّاهِرِ، وَالْأَوَّلَى حَمْلُ الْخَبَرِ عَلَى ظَاهِرِهِ وَأَنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ حَقِيقَةً لِأَنَّ الْعَقْلَ لَا يُجِبُ ذَلِكَ، وَقَدْ ثَبَتَ الْخَبَرُ بِهِ فَلَا يُحْتَاجُ إِلَى تَأْوِيلِهِ، وَحَكَى الْقُرْطُبِيُّ فِي ذَلِكَ احْتِمَالَيْنِ ثُمَّ قَالَ: وَالْقُدْرَةُ صَالِحَةٌ. ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ عِنْدِ مُسْلِمٍ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ إِذَا لَمْ يُذَكِّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، قَالَ: وَهَذَا عِبَارَةٌ عَنْ تَنَاوُلِهِ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ اسْتِحْسَانُهُ رَفَعَ الْبَرَكَةَ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ إِذَا لَمْ يُذَكِّرْ اسْمُ اللَّهِ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ " ظَاهِرُهُ أَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ تَشَبَّهَ بِالشَّيْطَانِ، وَأَبْعَدَ وَتَعَسَّفَ مَنْ أَعَادَ الضَّمِيرَ فِي شِمَالِهِ عَلَى الْأَكْلِ. قَالَ النَّوَوِيُّ: فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ اسْتِحْبَابُ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ بِالْيَمِينِ وَكَرَاهَةُ ذَلِكَ بِالشِّمَالِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ أَخَذٍ وَعَطَاءٍ كَمَا وَقَعَ فِي بَعْضِ طُرُقِ حَدِيثِ ابْنِ عُمرَ، وَهَذَا إِذَا لَمْ يَكُنْ عُذْرٌ مِنْ مَرَضٍ أَوْ جَرَاخَةٍ فَإِنْ كَانَ فَلَا كَرَاهَةَ كَذَا قَالَ، وَأَجَابَ عَنِ الْإِشْكَالِ فِي الدُّعَاءِ عَلَى الرَّجُلِ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ وَاعْتَدَرَ فَلَمْ يَقْبَلْ عُذْرُهُ بِأَنْ عِيَاضًا ادَّعَى أَنَّهُ كَانَ مُنَافِقًا، وَتَعَقَّبَهُ النَّوَوِيُّ بِأَنْ جَمَاعَةً ذَكَرُوهُ فِي الصَّحَابَةِ وَسَمَّوْهُ بُسْرًا بِضَمِّ الْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِ الْمُهْمَلَةِ، وَاحْتَجَّ عِيَاضٌ بِمَا وَرَدَ فِي خَبَرِهِ أَنَّ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْكِبَرُ، وَرَدَّهُ النَّوَوِيُّ بِأَنَّ الْكِبَرَ وَالْمُخَالَفَةَ لَا يَفْتَضِي التَّفَاقُ لِكِنَّهُ مَعْصِيَةٌ إِنْ كَانَ الْأَمْرُ أَمْرًا إيجابًا. قُلْتُ: وَلَمْ يَنْفَصِلْ عَنِ اخْتِيَارِهِ أَنَّ الْأَمْرَ أَمْرٌ نَدْبٍ، وَقَدْ صَرَّحَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ بِإِثْمٍ مَنْ أَكَلَ بِشِمَالِهِ، وَاحْتَجَّ بِأَنَّ كُلَّ فِعْلٍ يُنْسَبُ إِلَى الشَّيْطَانِ حَرَامٌ. وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ هَذَا الْأَمْرُ عَلَى جِهَةِ النَّدْبِ لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ تَشْرِيفِ الْيَمِينِ عَلَى الشِّمَالِ لِأَنَّهَا أَفْوَى فِي الْغَالِبِ وَأَسْبَقُ لِلْأَعْمَالِ وَأَمَكُنُ فِي الْأَشْغَالِ، وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْيَمَنِ، وَقَدْ شَرَّفَ اللَّهُ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ نَسَبَهُمْ إِلَى الْيَمِينِ، وَعَكْسُهُ فِي أَصْحَابِ الشِّمَالِ قَالَ: وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَالْيَمِينُ وَمَا نُسِبَ إِلَيْهَا وَمَا اشْتَقَّ مِنْهَا مَحْمُودٌ لُغَةً وَشَرْعًا وَدِينًا، وَالشِّمَالُ عَلَى نَقِيضِ ذَلِكَ، وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ فَمِنَ الْأَذَابِ الْمُتَنَاسِبَةِ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالسَّيِّئَةِ الْحَسَنَةِ عِنْدَ الْفَضْلَاءِ اخْتِصَاصُ الْيَمِينِ بِالْأَعْمَالِ الشَّرِيفَةِ وَالْأَحْوَالِ النَّظِيفَةِ، وَقَالَ أَيْضًا: كُلُّ هَذِهِ الْأَوَامِرِ مِنَ الْمَحَاسِنِ الْمَكْمَلَةِ وَالْمَكَارِمِ الْمُسْتَحْسَنَةِ وَالْأَصْلُ فِيمَا كَانَ مِنْ هَذَا التَّرْغِيبِ وَالتَّنْذِيرِ قَالَ: وَقَوْلُهُ " كُلُّ مِمَّا يَلِيكَ " مَحَلُّهُ مَا

إِذَا كَانَ الطَّعَامُ نَوْعًا وَاحِدًا، لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ كَالْحَايِزِ لِمَا يَلِيهِ مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذَ الْغَيْرُ لَهُ تَعَدٍّ عَلَيْهِ، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ تَقْدِيرِ النَّفْسِ مِمَّا خَاضَتْ فِيهِ الْأَيْدِي، وَلِمَا فِيهِ مِنْ إظهارِ الْجَرِصِ وَالْتِهَمِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ سُوءُ آدَبٍ بِغَيْرِ فَايِدَةٍ، أَمَّا إِذَا اخْتَلَفَتِ الْأَنْوَاعُ فَقَدْ أَبَاحَ ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ. كَذَا قَالَ.²⁴ وحتى عندما توجه الحافظ ليخاطب العقول والقلوب بنتائج وخلاصة الحديث العظيم، نراه يربطها بالفردية وبالموضوعية، فالخطاب فردي والموضوع هو الأكل، يقول: (وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ يَنْبَغِي اجْتِنَابَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تُشَبِّهُ أَعْمَالَ الشَّيَاطِينِ وَالْكُفَّارِ، وَأَنَّ لِلشَّيْطَانِ يَدَيْنِ، وَأَنَّهُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَأْخُذُ وَيُعْطِي. وَفِيهِ جَوَازُ الدُّعَاءِ عَلَى مَنْ خَالَفَ الْحُكْمَ الشَّرْعِيَّ. وَفِيهِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى فِي حَالِ الْأَكْلِ. وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ تَعْلِيمِ آدَبِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ. وَفِيهِ مَنْقَبَةُ لِعُمَرَيْنِ أَبِي سَلَمَةَ لِامْتِنَالِهِ الْأَمْرَ وَمُواظَبَتِهِ عَلَى مُقْتَضَاهُ).²⁵

بينما ذهب الأصوليون إلى الكلام عن الندب والأمر وكون حديث الباب بينهما، وذكروا من صوارف صيغة الأمر عن الوجوب إلى الندب، أن يكون الأمر وارداً في باب الأدب، ومثلوا له ب: (كل بيمينك، وكل مما يليك). ولا شك أن الأكل باليمين داخل تحت

قال الإمام ابن عبد البر في الاستذكار (288/5): وأصل النهي أن تنظر إلى ما ورد منه وطراً على ملكك أو على ما ليس في ملكك، فما كان منه وارداً على ملكك فهو يمين آداب وإرشاد واختيار، وما طراً على غير ملكك فهو على التحريم، وعلى هذا ورد النهي في القرآن والسنة . ثم قال: والاستنجاء باليمين دون الشمال والأكل بالشمال دون اليمين.. فهذا كله وما كان مثله نهى أدب وإرشاد لأنه طراً على ما في ملك الإنسان، فمن واقع شيئاً من ذلك لم يحرم عليه فعله.)

وكل هذا صحيح، لكنه قاصر، لأن المصطفى إنما يروم تكوين أمة، ونشر معاني حضارة، وتوجيه البشرية نحو ربه توحيداً، قلباً وعقلاً وسلوكيات ووجدانا، فمتى

²⁴ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية رقم

لم يتحقق ذلك في حيثيات النصوص شرحا، كانت الشروح قاصرة لم ترق مراقي التبليغ عن مرامات ومقاصد المصطفى الرحمة،
التوجيه المقاصدي (باختصار شديد):

1/ اجتماعية المسلم، فالرضا بالأكل مع الآخر، اثبات لاجتماعية المسلم حيث يمكنه الاختلاط والرضا بالآخر موجودا، في تعامله ومجالسته ومؤاكلته، وذلك مع المسلم أكد، لأن المسلم ليس كائنا متوحدا، ولا المجتمع المسلم كذلك، ولا يمكن نشر الإسلام بالأخلاق والتعامل ما لم يحدث الوجود والتواجد مع الآخر ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ سورة الحجرات: 13.

2/ العدل ورفض الظلم: أساس حياة البشر العدل، وغيابه غياب لمعنى السكينة والطمأنينة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ سورة النحل: 90، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ سورة النساء: 135، ومن صور العدل العظيمة: أن يقوم المسلم بتبني قيم العدل مع المحيطين به أصدقاء وأعداء، فلا يجور عليهم، بأي شكل، ولا يبخسهم حقوقهم، فهذا الأمر من أسس التقوى في الإسلام العظيم؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ سورة المائدة: 8. وإذا كان توجيه المصطفى لأئمة بالعدل حتى اللقمة واللقمتين، فهو في شئون أكبر، أعظم وأعمق، كون الخطب جلل فيما يتعلق بالعدل حضورا وغيابا من حياة الأمة، ومن يحيط بها تعاملًا من جيرانها، الأصدقاء دوام صداقة وسلم، وأعداء استجلاب مودة وتجنب مكر، وهذا من الحكم البليغة في توجيهات النبي المختار.

فالمخاطب مطلوب منه ومن ورائه أمة وأمم تحيط بها، أخذ حقها وعدم التفريط فيه، وبالمقابل اعطاء حقوق الغير وعدم التعدي عليها، ابتداء باللقمة ووصولاً لحدود الدول، وثوراتها القومية، والثروات المشتركة..

3/ الاحتكام للقانون الذاتي حال الذاتية في الاشتراك، وللمشترك حال العموم في الاشتراك، فالمسلم وهو يشترك مع غيره في تناول الأكل إلا أنه مطالب بالتسمية، فرضاً للذات والشخصية في تعامله مع الآخر، فهو مطالب بأن لا يذوب في غيره وأساليبه، بل يحافظ على مبادئه ولو تعامل مع غير المسلم القوي، فالتفاصيل بداية الذوبان، والشبر موصل للهلكة العامة، فعن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبْرًا شَبْرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى، قَالَ: فَمَنْ)²⁶.

وفي رواية عن عن شداد ابن أوس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لِيَحْمِلَنَّ شِرَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى سَنَنِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَ الْكِتَابِ حَذْوَ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ، وَالْقُدَّةُ رِيشَةُ الطَّائِرِ كَالنَّسْرِ وَالصَّفَرِ، بَعْدَ تَسْوِيَّتِهَا وَإِعْدَادِهَا لَتَرْكَبَ فِي السَّهْمِ. يُضْرَبُ مَثَلًا لِلشَّيْئَيْنِ يَسْتَوِيَانِ وَلَا يَتَفَاوَتَانِ.

وفي ابتداء المصطفى بالشبر توجيه عظيم إلى البدء بصغائر التقليد، وصولاً إلى عظائمها، فلا يبدأ الناس تقليد الآخر بالكبائر ابتداءً، إنما يتدرجون ليصلوا إلى كل ممنوع، قال الحافظ ابن حجر شارحاً الحديث: (..قَوْلُهُ: لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنْ، بِفَتْحِ السِّينِ لِلْأَكْثَرِ، وَقَالَ ابْنُ التَّيْنِ قَرَأَنَاهُ بِضَمِّهَا، وَقَالَ الْمُهَلَّبُ بِالْفَتْحِ أَوَّلَى لِأَنَّهُ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ فِيهِ الذِّرَاعُ وَالشَّبْرُ وَهُوَ الطَّرِيقُ. قُلْتُ: وَلَيْسَ اللَّفْظُ الْأَخِيرُ بِبَعِيدٍ مِنْ ذَلِكَ. قَوْلُهُ: شَبْرًا شَبْرًا، وَذِرَاعًا ذِرَاعًا، فِي رِوَايَةِ الْكُشْمِينِيِّ "شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ"

²⁶ محمد بن إسماعيل البخاري، الصحيح، كِتَابُ الْإِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... رقم 6802.

عَكْسَ الَّذِي قَبْلَهُ، قَالَ عِيَاضُ الشَّيْبُ وَالذِّرَاعُ وَالطَّرِيقُ وَدُخُولُ الْجُحْرِ تَمْثِيلٌ لِلْإِفْتِدَاءِ بِهِمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا نَهَى الشَّرْعُ عَنْهُ وَذَمَّهُ²⁷.

وهو المقصد نفسه حين يحرم عليهم أكل ما لم يُذكر اسم الله عليه ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ سورة الأنعام: 121، كون المسلم وإن تعامل مع غيره، كل غيره، يبقى مستقلاً بذاته، لتبعية كل تصرف منه للعقيدة فيه.

والقانون الخالد في كل تعامل ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ سورة الأنعام 153. والمسلم بالتسمية يعلن للجلوس معه، أنه متفرد بهويته، وشخصيته وأساليب حياته، وطرق عيشه، مغايرة لغيره في كل شيء. والقرآن الكريم يدعو إلى التجديد حين يخاطب من أرسل لهم في تفاصيل حياتهم، في مأكلاتهم، وملبسهم، وسكناتهم، وعاداتهم، وسلوكياتهم، ليتأطر الدين الجديد وأهله ومتبعوه بإطاره الخاص به ويتميز عما سواه، فحين يأمر نبيه ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ سورة المدثر: 4، إنما يأمره ومن ورائه أمته بضرورة النظافة الخاصة والعامة، وهو المعنى نفسه في قوله ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ سورة الاعراف: 31.

4/ حب الخير للآخر: وإن كان حب الخير ثابتاً للمسلم، ولا يكتمل إيمان المؤمن إلا به، للتوجيه النبوي عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)²⁸ وهو قمع رغبات النفس في أن تكون مستحوذة على الخير كله. (وَحَدِيثُ أَنَسٍ الَّذِي تَتَكَلَّمُ الْآنَ فِيهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْرُهُ مَا يَسُرُّ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ، وَيُرِيدُ لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ مَا يُرِيدُهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ، وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا يَأْتِي مِنْ كَمَالِ سَلَامَةِ الصَّدْرِ مِنَ الْغِلِّ وَالْغِيْشِ وَالْحَسَدِ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَقْتَضِي أَنْ يَكْرَهُ الْحَاسِدُ أَنْ يَقُوفَهُ أَحَدٌ فِي خَيْرٍ، أَوْ يُسَاوِيَهُ فِيهِ، لِأَنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَمْتَّازَ عَلَى

²⁷ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح البخاري، كتاب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... رقم 6889.

²⁸ محمد بن إسماعيل البخاري، الصحيح، كتاب الايمان، بَابُ مِنَ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، رقم 13.

النَّاسِ بِفَضَائِلِهِ، وَيَنْفَرِدَ بِهَا عَنْهُمْ، وَالْإِيمَانُ يَقْتَضِي خِلَافَ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنْ يُشْرِكَهُ الْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ فِيمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ.²⁹

فإن حب الخير لغير المسلم سمو روح وفاعلية يقين في الله، وهو ما وجهت إليه السنة الشريفة، فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ من أمي خمس خصال فيعمل بهن أو يعلمهن من يعمل بهن قال قلت أنا يا رسول الله قال فأخذ بيدي فعدهن فيهما ثم قال اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً..³⁰

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: (...كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَتَرَلْنَا مَرَّلاً فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَسَرِهِ إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ جَامِعَةً فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنْذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَإِنْ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُوهَا وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيَرْقُقُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ مُهْلِكَتِي ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ هَذِهِ فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُرْخِزَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَاتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَاتٍ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ ..)³¹ ويقول شارحا الحديث (...قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَلَيَاتٍ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ) هَذَا مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَدِيعِ حِكْمِهِ، وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ مُهِمَّةٌ فَيَنْبَغِي الْإِعْتِنَاءُ بِهَا، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَلْزَمُ أَلَّا يَفْعَلَ مَعَ النَّاسِ إِلَّا مَا يُحِبُّ أَنْ يَفْعَلُوهُ مَعَهُ).³²

²⁹ ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، الحديث الثالث عشر..

³⁰ أحمد بن محمد بن حنبل، مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند أبي هريرة، رقم 8034.

³¹ يحيى بن شرف أبوزكريا النووي، شرح صحيح مسلم، كتاب الامارة، باب وجوب الوفاء ببيعة

الخلفاء، رقم 1844.

³² المصدر نفسه..

فهذا الآكل رضي بمؤاكلة غيره، رضي بمقاسمة اللقمة مع غيره، رضاً بقضاء الله وعدله ويقينا في حسن تقديره سبحانه فهو لا يروم كون قسمة رحمة ربه وخيره على حسب شهوته وهواه، ولو اتبع الحق هواه لما أذن هذا الساخط على أقدار الله لغيره أن يتنسم نسيم الحياة: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ سورة الاسراء: 100.

نعم لو كان الأمر لهؤلاء ضعاف النفوس بأطماعهم واحتكامهم لشهواتهم، ضعاف الإيمان في عدل ربهم وحسن قسمته، لحجبوا عن الناس كل خير، ولكن هيات أن يكون لهم ذلك: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ سورة الزخرف: 32.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ سورة النساء: 54، ولو علم المعارض على حكمة الله، الحاقده أن حقه وحسده لا يغير من أقدار الله شيئا لأراح نفسه ولشغلها بما يصلحها بدلا من شغلها بالناس وما آتاهم الله من فضله. فالمسلم وهو يؤاكل غيره، وحين يوجهه المصطفى بأن يكتفي بالأكل مما يليه ويترك ما يلي الناس للناس، لا يكون المراد تعليمه هو لفرده، ولا الاقتصار عليه لشخصه، إنما يعلمه معنى التشاركية في الخير والرضا به لغيره، وإلا كان معترضا على تقسيم الله للنعم والارزاق، وهو مقصد عظيم، وتعميم للخير على المحيط، وفيه معنى القضاء على الأنانية وأمراض النفس، وحب الذات المرضي.

فالمؤاكلة برضا ليست سوى عنوان للمعايشة بعنوان السلم والدخول فيه جماعات والمأمور به شرعا، وكل ما قرَّب منه ووجه إليه يكون من المأمورات الشرعية الواجب فعلها، مهما بدت للناظر جزئية وصغيرة، فإن حقيقتها بعمق تأثيرها الاجتماعي.

5/ الدعوة في كل ظرف (اليوسفية) والاعتدال فيها: على قاعدة وجوب الدعوة إلى الله بحق ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ ﴿ سورة النحل 125، ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سورة آل عمران 104.

والأنموذج المحتذى بالنسبة للمسلم حال مؤاكلته لغيره هو يوسف الصديق، وكيف أنه اتخذ من فرصة محادثة رفيقيه في السجن حول رؤيا الملك، لينشر دعوته إلى الله تعالى، وفق توجيه الله له.

قال البيضاوي في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (163/3) مفسراً: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُزْرَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾؛ أي: بتأويل ما قصصتما عليّ، أو بتأويل الطعام، يعني: بيان ماهيته وكيفيته؛ فإنه يشبه تفسير المشكل، كأنه أراد أن يدعوهما إلى التوحيد، ويُرشدهما إلى الطريق القويم، قبل أن يسعفهما إلى ما سألاه منه، كما هو طريقة الأنبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والإرشاد، فقدّم ما يكون معجزة له من الإخبار بالغيب؛ ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير).

فيوسف استغل الوقت الممنوح له من تركيز الفتيتين معه، وتركيزها على كل قوله، فبعد هذه المقدّمة التي قدّمها يوسف عليه السلام للفتيتين شرع في دعوتها إلى الإيمان الذي به السعادة والنجاة والفوز والفلاح: مبتدئاً بكلامه بصلب الدين "التوحيد" ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ سورة يوسف: 37، فنّبّه على أصلين عظيمين: الإيمان بالله، والإيمان بالآخرة؛ إذ هما أعظم أركان الإيمان، وهي مرامه من خطابه الشامل لهما، والذي سيستوعب كله، كونهما في مقام الانبساط الكلي للقبول بالكلام كله.

ولورأينا قول الأكل "باسم الله" قبل أكله، لرأيناه داعياً إلى الله وموحداً، وهو نفس ما أراده يوسف في دعوته للفتيتين حيث ذكر لهما ما يُقوّي رغبتهما في الاستماع إليه والوثوق بكلامه، فقال: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ سورة يوسف: 38، ثم الحاق النعم بمعطيها، والمنح بمانحها، والارزاق للرازق بها ﴿ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ سورة يوسف: 38،

فباسم الله دعوة إلى التوحيد، والشكر للمنع، وابرار سماحة الاسلام في قبول الآخر، والرفق معهم تعاملًا، وهو من نهج يوسف فيالتلطف في مخاطبة رفاقه، وحسن الاستدلال على فساد ما عليه قوم الفتين من عبادة الأصنام، فقال: ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سورة يوسف: 39، 40.

وقول المسلم المُواكل لغيره "باسم الله" ليست تميزا سطحيًا، بل انعكاس لعقيدة راسخة، وابرار لمغزى الفروق بين أكل المسلم وأكل غيره، وهو تلميح إن لم يكن تصريحًا لمعنى: نحن نأكل باسم الله ويجب أن يأكل كل أكل باسمه لأنه معطي الرزق والمتفضل به.

وتشريع قول بسم الله ليست خاصة بأمة محمد، ولا هي خاصة بالأكل، بل عنوان لشروع المسلم في كل أمر: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سورة هود: 41، وهذا سليمان عليه السلام يكتب لبليقيس فيبدأ كتابه ببسم الله الرحمن الرحيم، ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ سورة النمل: 29-30.

ولا يتعلق الأمر بالبركة فقط، بل بعنوان العقيدة والتدين وقول المسلم في كل أحواله إنه مسلم موحد: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ سورة فصلت: 33، وقد أخرج الإمام الترمذي عن الفاضلة عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ طَعَامًا فِي سِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَكَلَهُ بِلُقْمَتَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّهُ لَوْ سَعَى لَكَفَاكُمُ³³

أخرج الإمام مسلم عن جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ لَا

³³ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، السنن، كتاب الاطعمة، باب التسمية، رقم 1858.

مَيِّتَ لَكُمْ وَلَا عَشاءَ وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَذْرَكْتُمْ الْمَيِّتَ وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَذْرَكْتُمْ الْمَيِّتَ وَالْعَشاءَ³⁴

ثم يتواصل التوجيه النبوي ليكون عنوان المسلم "التسمية" مرادفا لبداية حركته كلها، سرها وعلتها، في اعمالٍ دقيق لمعنى أن يكون المسلم موقنا في اسم ربه، وفاعلية توكله عليه، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَقُولُ حِينَ يَأْتِي أَهْلَهُ بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ثُمَّ قَدِرَ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ أَوْ قُضِيَ وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا³⁵

هذا هو توجيه النبي لأمته، لتجعل باسم الله عنوان حياة، ومنهج دعوة إلى الله، ذكرا له، وتوكلا عليه، ويقينا فيه، حتى لا يبقى مجال إلا عمته شمولية الدعوة وعمومها، ذكرا لله دون كل من سواه، واحداً أحد.

6/ أداء الواجبات والمطالبة بالحقوق

في حديث الباب، مقصد عظيم غفل عنه كثير من الشراح، ولعلمهم أسقطوه عمداً من قراءاتهم للنص النبوي، مفاد هذا التوجيه، حصول المؤاكل غيره على حقه كاملاً ومطالبته بحقه كاملاً مع عدم نسيان الأفضال بين الناس وروح التسامح، فقول المصطفى (كل مما يليك..) دلالة على عدم ترك نصيبه لغيره، وعدم أكله مما أمام غيره دلالة لعدم السماح لنفسه بأكل مما أمام الناس، حقوقاً وواجبات. يقولون: أن المصدر الحقيقي لكل الحقوق هو الواجب. فإذا قام كل منا بواجبه فإن الحقوق سوف تتوطد من تلقاء ذاتها. فالعمل هو الواجب، والحق هو ثمرته (غاندي)

وفي المبادئ الكبرى في الإسلام نجد لا ضرر ولا ضرار، والعقل مناط التكليف وبه تتعلق الحقوق والواجبات..

ورغم تطور البشر قانونياً، وانتظامهم في هيئات وجمعيات وعصب أممية، إلا أنه يبدو ما في اعلان حقوق الانسان الصادر في ديسمبر 1948 في مواده الثلاثين من

³⁴ مسلم بن حجاج النيسابوري، الصحيح، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب، رقم 2018.

³⁵ محمد بن اسماعيل البخاري، الصحيح، كتاب النكاح، باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله،

نقائص، حيث لم تتضمن حقوقاً دون واجبات؛ فمع كل حق واجب ضمني، ومع كل واجب حق، ولاشك ان الواجبات والحقوق اذا ما كانت تقتصر على جوانب مادية دون جوانب معنوية، فذلك اغفال لإنسانية الانسان اخلاقاً وثقافة وجمالاً؛ ولهذا تم اساءة استخدام هذا الاعلان الأممي.

وظلت أمانى البشرية لسنوات، مرتبطة بما لو استطاعت الجمعية العامة أن تُصدر، إلى جانب هذا الإعلان الحقوقي، إعلاناً آخر يوضح واجبات الإنسان استقلالاً، لكان في ذلك خير عميم، كون إعلان الحقوق وحده لا يمثل العلاج الوافي لخلاص الإنسان من أنواع الألم، والمعاناة، والاضطهاد، والاستغلال والتمييز والفقر والبؤس، والكثير غيرها من مظاهر التعدي على انسانية الانسان.

وتداركاً لهذه النقائص، وفي عام 1998 : وفي الذكرى الـ 50 على اصدار "الاعلان العالمي لحقوق الانسان" واسترشاداً ببنوده : قامت منظمة الأمم المتحدة للتعليم والعلوم والثقافة (اليونسكو) والمفوضية العليا للأمم المتحدة لحقوق الإنسان بإعداد "الإعلان العالمي لواجبات ومسؤوليات الإنسان" والذي يعرف باسم إعلان فالنسيا -إسبانيا.

اعلان قام بإعداده وصياغة مواده نحو 75 شخصية دولية مستقلة ومجموعة من الخبراء الحائزين على جائزة نوبل والعلماء والفنانين والفلاسفة تمثل جميع مناطق العالم ويهدف "اعلان فالنسيا" رؤية عصرية للحقوق في اطار من الواجبات تعزيزاً "للإعلان العالمي لحقوق الانسان" وتدارك معالجة نقائصه وصور قصوره؛ ومن ثم صار واجبا ان تقع مسئولية اقرار الحقوق على عاتق كافة المعنيين من سلطات وافراد، وبذا يتحقق الانتقال النوعي من "المساواة الشكلية" إلى "المساواة المستدامة" ومن "الحقوق المعنوية" الى "الحقوق القانونية" ومن "الواجبات المعنوية" الى "الواجبات القانونية"، أي تأطير الواجبات وتقنينها.

وعوداً إلى حديث الباب (كل مما يليك..). نجد سطوع معنى الوفاء بالواجبات من قبل أي فرد مؤايل لغيره أو معاشر له أو مساكن له أو مجاور وهكذا، وهو مطلب أساسي بالنسبة لحقوق الكافة، والحقوق والواجبات متلازمة في كل نشاط اجتماعي وسياسي للإنسان، فإذا كانت الحقوق ترفع من قدر وحرية الشخصية

فإن الواجبات تعبر عن جلال تلك الحرية، ومؤاكلته لغيره مع حفظ حدوده واجبات، وتحصيله على حقه مقابل تلك الواجبات، تجلية لها وابرزا.. ولأننا كمسلمين لا نعاني في الأصل من مشكلة الخواء والامتلاء الروحي، كون الدين في منظورنا ممارسة تجمع الروح والمادة مزاجية ووازن، لكن غيرنا يعاني من هذه المشكلة انعداماً، مما يجعل التطور الروحي هو الغاية الأسى للوجود الإنساني وأرقى درجة من التعبير عنه، ويكون واجب الإنسان خدمة هذه الغاية بكل قوته وبشتى موارده وامكانياته، علمياً وثقافياً وسلوكياً وممارسات اجتماعية وتصرفات وتعاملات اقتصادية وتفاعلات أخلاقية.

وكل مجتمع قد يتعرض للانهيأ والزوال، فقداناً لتمامسكه حين إصرار كل مواطن فيه على الحصول على حقوقه كاملة، متناسياً ما عليه من واجبات تصل لحد التقديس، وضرورته البنائية وهو ترجمة للخطر الكبير الناجم عن استغلال حقوق الإنسان، كما لو كانت مصطلحاً حربياً، ووسيلة عدوانية، لممارسة الضغوط السياسية الخارجية تلجأ إليها الدول العظمى حين تحتاج إلى مبرر لتصرفاتها، في حين تغمض أعينها عنها، متى احتاجت لذلك، والقوي يصنع الحق ويتغاضى عن الواجب، وهو المعنى الذي جاء الاسلام كممارسة ليقضي عليه، فعن عائشة، "أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمُخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ ، فَقَالُوا : مَنْ يَكْلِمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ ، فَقَالُوا : وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ حِبِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ اللَّهُ ؟ ، ثُمَّ قَامَ ، فَاخْتَطَبَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ ، تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ ، أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَإِئِمَّ اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا " ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ رُمُحٍ إِنَّمَا هَلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ³⁶.

وحديث الباب (كل مما يليك..) قصد كل هذا، وزيادة عليه ضمان الحريات الأساسية للآخرين، حيث يجب ضمان حرية الدين، والتدين اعمالاً لمبدأ (لا إكراه

³⁶ مسلم بن حجاج النيسابوري، الصحيح، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره
والنهي...، رقم 3202.

في الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) سورة البقرة، وعلى المسلم قبل غيره تجنب إصدار تصريحات تحتوي على أحكام مسبقة على أتباع الأديان الأخرى، أو ارتكاب أعمال بها تحيز ضدهم، تجنب الانتشار الاحقاد والنعرات الطائفية، أوالتطرف أوالحروب العقائدية، ولا أن يضيفوا عليها صفة الشرعية، بل يجب عليهم دعم التسامح والاحترام المتبادل بين البشر جميعاً، وكل ذلك والمسلم مستندٌ إلى جانبٍ من الصلابة العقدية انطلاقاً من مبادئ قرآنية راسخة:

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ سورة الكهف: 29، وَلَفَتَ الْقُرْآنُ نظر النبيل إلى هذه الحقيقة، وَيَبَيِّنُ له أن عليه تبليغ الدعوة فقط، وأنه لا سلطان له على تحويل الناس إلى الإسلام فقال: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ سورة يونس: 99، وقال: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّطِرٍ﴾ سورة الغاشية: 22، وهي ليست توجيهات للرسول في ذاته، بل لأمته من ورائه، ولكل مسترشِدٍ بهديه التشريعي من عقلاء البشر، فمهمة المسلم الدعوة إلى الله ليس إلا، وحتى لو ازداد من دعاهم كفراً، فلا دخل له هو في ذلك، ويكفيه البلاغ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ سورة الشورى: 48.

والتعامل انطلاقاً من مقاصد حديث(كل مما يليك..) ترسيخ لمبدأ واقعية المغايرة الحضارية والدينية، وقبول الآخر بواقعية المسلم الذي يدعو ولا يحكم قضاءً، مع بيان دعوته للناس وتوضيح منهجه تعاملًا ومعاملات وحسن سلوك وعشرة ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ سورة آل عمران: 64.

وخلاصة ما يوجه إليه الحديث الشريف دعوة كل واحد وكل من بني البشر للقيام بواجبه والمطالبة بحقه، وصولاً إلى توازن بين الحريات والمسئوليات والانتقال من ثقافة الاختلاف إلى ثقافة المشاركة لأنه «إذا سعى كل شخص لزيادة الحرية إلى أقصى مدى ولكن على حساب حريات الآخرين، فإن ذلك يؤدي إلى معاناة عدد أكبر من الناس، وإذا سعى البشر للحصول على أكبر قدر من الحرية عن طريق نهب الموارد الطبيعية للأرض، فإن ذلك يؤدي لمعاناة الأجيال القادمة» كما تقول

مقدمة الإعلان التي تؤكد على أنه إذا حصل توازن بين الحقوق والمسئوليات، فإن الحرية يتم تعزيزها ويمكن خلق عالم أفضل، وهو مراد العقلاء، والحكماء، وجوهر رسالة الأنبياء.

2/ البيئة كمطلب حياتي (البيئة) = إذا قامت الساعة.. وليس الاقتصار على إتمام العمل ولا على البعد الأخروي، فالحديث يوجه إلى أهمية الغراسة في حياة الناس. والحديث عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْرِسَهَا " وهذا الحديث رواه أحمد (12902) ، والبخاري في "الأدب المفرد" (479) ، وعبد بن حميد في "مسنده" (1216) ، والبزار في "مسنده" (7408) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (.. فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسَهَا). ولفظ أحمد : (إِنْ قَامَتِ عَلَى أَحَدِكُمْ الْقِيَامَةُ ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسَهَا).

وباختصار يمكننا تسطير المقاصد الأساسية التي وجّه إليها الحديث الشريف:

1/ الهواء النقي: البيئة السليمة "الصحية" وكذا صناعة الأدوية.. والحماية من الغبار..

2/ الاقتصادي الشجري "الخشاب كعازل ووقود، الصمغ والفلين، الورق..." ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَنِيعٌ لِلْأَكْلِينَ﴾ سورة المؤمنون:20.

3/ الثمار، والحب، وعلف للحيوان..

4/ الزينة والاستغلال، وانتشار الحقائق والمناظر المغروسة يخفف الضغط اليومي، ويخلق راحة وقدرة على العمل..

5/ اخضرار الارض والمحافظة على المناطق الزراعية والسكانية، بوقف زحف الرمال، وكسر شدة الرياح..

6/ خلاصة المقاصد كلها من الحديث وتوجيهه، أن يكون المؤمن كالشجر نفعاً لآخر يوم في حياته، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ سورة إبراهيم:24، ثبات ايماني، وتوحيد لا

يزعزعه شيء، وسمو في سماء الصفاء العقدي، توحيدا لله، واعترافا بوحدانيتها حياة، وهي الشجرة التي ضربها الله مثلا للمؤمن في عموم نفعها وبقائها وتنوع فائدها كما جاء عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ حَدَّثُونِي مَا هِيَ؟» قَالَ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا: "حَدَّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ" قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ»³⁷

3/ ضرورة التفوق العلمي (اقرأ) = الربط بالصف الأول..

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْبَدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَمِعُوا عَلَيْهِ لَأَسْتَمِعُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَأَسْتَبْقُوا إِلَيْهِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا)³⁸

وقال النووي في "المجموع" (192/4): وَاتَّفَقَ أَصْحَابُنَا وَغَيْرُهُمْ عَلَى اسْتِحْبَابِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ ; وَجَاءَتْ فِيهِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي الصَّحِيحِ ، وَعَلَى اسْتِحْبَابِ يَمِينِ الْإِمَامِ ، وَسَدِّ الْفُرَجِ فِي الصُّفُوفِ ، وَإِتْمَامِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ إِلَى آخِرِهَا ، وَلَا يَسْرَعُ فِي صَفٍّ حَتَّى يَتِمَّ مَا قَبْلَهُ، وَعَلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ الِاعْتِدَالُ فِي الصُّفُوفِ . فَإِذَا وَقَفُوا فِي الصَّفِّ لَا يَتَقَدَّمُ بَعْضُهُمْ بِصَدْرِهِ أَوْ غَيْرِهِ وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْ الْبَاقِينَ ، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُوسِّطُوا الْإِمَامَ وَيَكْتَفُوهُ مِنْ جَانِبَيْهِ " انتهى .

وجاء في " الموسوعة الفقهية" (37/27): وَمِنْ أَدَبِ الصَّفِّ أَنْ تُسَدَّ الْفُرَجُ وَالْخَلَلُ، وَأَنْ لَا يَسْرَعَ فِي صَفٍّ حَتَّى يَتِمَّ الْأَوَّلُ ، وَأَنْ يُفَسَّحَ لِمَنْ يُرِيدُ دُخُولَ الصَّفِّ إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ سَعَةٌ ، وَيَقِفُ الْإِمَامُ وَسَطَ الصَّفِّ وَالْمُصَلُّونَ خَلْفَهُ " انتهى .

فهل يكون المقصود النبوي السابق إلى الصلاة وفقط؟ الجلي للعيان أن المقصود النبوي يتعلق بأعماق أخرى يفهمها القاصد إلى بيان صلة الحديث بكل زمان ومكان وظرف.

³⁷ محمد بن إسماعيل البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب طرح الامام المسألة على أصحابه...

رقم 62.

³⁸ محمد بن إسماعيل البخاري، الصحيح، كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات، رقم 2543.

1/ السبق الحضاري وقيادة الأمة لغيرها، ولا يكون مسلماً من لم يؤمن بضرورة قيادة المؤمن للبشرية نحو ربها تحقيقاً للاستخلاف..

2/ ضرورة أن تكون الأمة مستقلة في كل شيء، ويتحقق هذا بأن ينظر المؤمن لسبقه في عبادته على اعتباره سبقاً في حياته كلها، وفي معاشته لغيره في الكون، فهو ليس تابعا لغيره ولا دونيا في أي شيء.

3/ ضرورة التفوق العلمي للأفراد والجماعات وللأمة.. لو تحقق المسلم من كون أول اتصال للسماء بالأرض بعد قرون، جاء بعنوان القراءة، وبأن أول الغيث الروحي والتشريعي فيه الأمر بالتعلم، لتوجب عليه رفع كل تحدي من أجل رفعة أمته، ومن أجل عودتها للقيادة العلمية، كون القيادة العلمية قيادة اقتصادية واجتماعية وعسكرية، لأن الأمم تتفوق بالعلوم وتطبيقاتها.

4/ اظهار قوة المؤمن، وحرصه على قوة أمته.. حين ينظر المسلم للتبكير إلى الصلاة على أنه مجرد تبكير للعبادة، يكون مقصراً كل تقصير، وواجبه النظر إلى عبادته وتحركه الحثيث لأدائها قبل غيره أو مع الأوائل منهم، على أنه واجب إيماني اظهاراً ليقينه في الله ورسوله، وقوة دينه في قوة الرافعين لرايته، أخلاقاً وعلماً واقتصاداً وانجازات، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله، وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف³⁹

فهذا البكور من القوة، والقوة في فعل الحق وأخذهم مطلب شرعي ﴿يَا بَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ سورة مريم: 12، والله وصف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم: ﴿أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ سورة الفتح: 29.

وهي المعاني التي تفتن لها الامام النووي في شرحه لحديث مسلم السابق رقم 2664: (.. قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ (وَالْمُرَادُ بِالْقُوَّةِ هُنَا عَزِيمَةُ النَّفْسِ وَالْقَرِيحَةُ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ ، فَيَكُونُ صَاحِبُ هَذَا الْوَصْفِ أَكْثَرُ إِفْدَامًا عَلَى الْعَدُوِّ فِي الْجِهَادِ ، وَأَسْرَعَ خُرُوجًا

³⁹ مسلم بن حجاج النيسابوري، الصحيح، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والإستعانة بالله وتفويض المقادير لله رقم 2664.

إِلَيْهِ ، وَذَهَابًا فِي طَلْبِهِ ، وَأَشَدَّ عَزِيمَةً فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى فِي كُلِّ ذَلِكَ ، وَاحْتِمَالِ الْمَشَاقِّ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَرْغَبِ فِي الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْأَذْكَارِ وَسَائِرِ الْعِبَادَاتِ ، وَأَنْشَطَ طَلَبًا لَهَا ، وَمُحَافَظَةً عَلَيْهَا ، وَنَحْوَ ذَلِكَ .(.

4/ النظام في المدارس دون التركيز على العقوبة وحدها = فاستقم كما أمرت... الصفوف في الصلاة.. وأثر لو خشع قلبه لسكنت جوارحه المنسوب لعمر الفاروق..

1/ التربية الأخلاقية، وتنمية روح المسؤولية لدى الناشئة.

2/ الربط بالخشوع كما في قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ..﴾ سورة المؤمنون 1، 3 ، وهو معنى لو تلقاه الطلاب بالقبول النفسي والروحي لاستقاموا على النظام.. وهو الاعمال الحقيقي لقوله تعالى في سورة هود 112 ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

5/ قتل المرتد (التخوين) ..

فهم حديث قتل المرتد يتطلب تدقيقا واسقاطات واقعية، حتى لا يهتم الإسلام بالإكراه الديني، والحديث ورد عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ أُتِيَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِرَنَادِقَةٍ فَأَحْرَقَهُمْ فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحْرِقْهُمْ لِنَبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ وَلَقَتَلْتُمُهمْ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ⁴⁰

هذا الحديث لم يتفرد بروايته البخاري، بل رواه أيضاً: أحمد (1871)، والترمذي في سننه (1458)، وأبو داود (4351)، وابن ماجه (2535)، والنسائي (4059)، وغيرهم.

وتوجهه أن المقصود بالردة هي الخيانة العامة للأمة، وليس تبديل الدين، بدليل وجود الكثير الآيات في حرية التدين والمعتقد، قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ

⁴⁰ محمد بن إسماعيل البخاري، الصحيح، كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم

المرتد والمرتدة واستنابتهم، رقم 6524.

عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿سورة البقرة: 217. والآيات التي أوردناها من قبل (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) سورة البقرة، ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ سورة الكهف: 29، ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ سورة يونس: 99، وقال: ﴿لَسْتُ عَلِيمٌ بِمُسَيِّطِرٍ﴾ سورة الغاشية: 22، وهي ليست توجيهات للرسول في ذاته، بل لأمرته من ورائه، ولكل مسترشده يهديه التشريعي من عقلاء البشر، فمهمة المسلم الدعوة إلى الله ليس إلا، وحتى لو ازداد من دعاهم كفرا، فلا دخل له هو في ذلك، ويكفيه البلاغ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ سورة الشورى: 48.

6/ الرق والسي: وهو طامة أخرى وقع فيها الفهم الضيق لطبيعة السي التي كانت مرحلية كرد فعل حربي على الأعداء، ولا ينبغي أن تستمر في أزمنة الناس هذه...
7/ التعدد: ليست الغاية من التعدد عدد النساء، ولا جمع الاناث، غايته القضاء على العنوسة وتوفير الأمن لهن، ومقاصد أخرى..

8/ الجهاد: والجهاد باب دخل منه لضرب الإسلام من لا يعرف مقاصد الإسلام من وراء تشريعه، الجهاد في أصله مدافعة كونية، ومتى ما ارتسمت الحدود وضبطت وأمن الأعداء توجب إيقافه، فحتى مع الاعداد الجيد ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ سورة الانفال 60، يكون الاستعداد للسلم واردا ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ يَهْدِي السَّبِيلَ الْعَلِيمُ﴾ سورة الانفال 61.

▪ ختاماً:توجيه التجديد حال توفرت فيه شروطه وضوابطه، إلى مراعاة الجوانب المقاصدية والروحية والمعنوية، بدل الإبقاء على الطرح القديم للنص وفهمه، تركيزاً على جوانب روح النصوص(..هي عناوين عامة (الرخصة العامة، و الضرورة العامة، المقاصد التحسينية، أثر التعليل في التقصيد و في التجديد) هذا التعليل الذي هو عملية علمية تتناول العلة بمتعلقاتها أو مفرداتها تمثل طورا أساسيا للتقصيد الذي هو طور آخر من التعليل والحكمة و المصلحة و المآل و الواقع بناء على معقولية الشريعة الإسلامية و على الرحمة الإسلامية بالناس جميعا و تنزيل ذلك على صعيد القضايا الوطنية و القضايا العالمية و قضايا الأسرة، و المجتمع وكذلك على مستوى الخطاب الديني و الإفتاء و الاجتهاد، رأيت في الورشة يوم أمس التي ترأسها أهمية كبرى فيما يتعلق بالانتقال من التعليل إلى التقصيد،الطور الأول،الطور الذي عرفه العلماء الأقدمون و يجدهه المحققون المتأخرون لكن هذا الطور التعليلي هو مقدمة أساسية للطور التقصيدي بمعناه الواسع وأفاقه الرحبة في تأطير قضايا الحياة والدولة و الأمة تأطيرا معقوليا مألوا حاليا سياقيا...⁴¹)

(..باستكمال بعض الفراغات العلمية المنهجية على مستوى المخبر، وكذلك كما ذكر الدكتور جاب الله و غيره من الأخوة الأعزاء أن تستكمل هذه الفراغات العلمية،هي فراغات في الحقيقة على مستوى معين،يعني ليست بمعنى ليس هناك بيان علمي فهذا، و وإنما فيه بيانات علمية و فيه مواقف وفيه إنتاج علمي يحتاج إلى زيادة التحقيق والتأصيل والتنظير والتحيين، ويحتاج كذلك إلى الأمثلة المعاصرة، و إلى الوصل بالقضايا العلمية و المنتجات العلمية التي وقعت في بلدان أخرى وكذلك من جهة ربط هذه الفراغات العلمية تطبيقات في المالية الإسلامية،في الطب،في العمل الخيري،في الدولة الحديثة،في الحوكمة، في المواطنة في الوجود

⁴¹ نور الدين الخادمي، البيان الختامي للملتقى العالمي للمقاصد وهران فبراير 2018، نزل

الإسلامي في بلاد الغرب، هذه الفراغات العلمية والمنهجية تحتاج إلى استكمالات وإلى محاولات وإلى مجهودات تبذل خاصة من الطلبة و من الباحثين و من أجل وضعها وتقريرها ثم عرضها في سنة أخرى و مؤتمر آخر و عرضها على العلماء و المفكرين من أجل تداول الرأي فيها و اعتماد ما يلزم اعتماداً⁴²).

فهرس المصادر والمراجع:

أحمد بن محمد بن حنبل، مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند أبي هريرة، رقم 8034.

■ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح البخاري، كتاب، باب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... رقم 6889.

■ محمد بن إسماعيل البخاري، الصحيح، كتاب الايمان، باب مِنْ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، رقم 13.

■ محمد بن اسماعيل البخاري، الصحيح، كتاب النكاح، باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله، رقم 4870.

■ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، السنن، كتاب الاطعمة، باب التسمية، رقم 1858.

■ مسلم بن حجاج النيسابوري، الصحيح، كتاب الاشربة، باب آداب الطعام والشراب، رقم 2018.

■ نور الدين الخادمي، البيان الختامي للملتقى العالمي للمقاصد وهران فبراير 2018، نزل عدن/Eden

■ يحيى بن شرف أبو زكريا النووي، شرح صحيح مسلم، كتاب الامارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، رقم 1844.

⁴² نور الدين الخادمي، البيان الختامي للملتقى العالمي للمقاصد وهران فبراير 2018، نزل